المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث عشر بعد المئة

١ اغسطس سنة ١٩٤٨ — ٢٥ رمضان سنة ١٣٦٧

من فلسفة طاغور

الناسك : أنا حرّ . أنا الواحد العظيم المنفرد بذاتي .

« عند ما كنت لله عبداً ، أيتها الطبيعة ، أثرت بعض قلبي إزاءه بعض ، وبعتنيا في حرب دموية اتجاراً في سبيل الدنيا . وسلطت عليّ الشهوات التي ليس لها من غاية إلاّ أن يأكل بعضها بعضاً ، وأن تلتف كل ما يسعه فمها ، فأمسّتني ألماً وقرفاً .

« أما وقد تحرّرت من المخاوف والشهوات ، وبعد أن انكشف عن بصري الضباب ، وبعد أن أشعّت قوى عقلي بريئة وضّاءة ، فلأخرجنّ الى عالم الكذب والبهتان مرّة أخرى ، ولأجلسنّ على ذات قلبه ، غير ملموس ، ولا متزحزح من مكاني

* * *

« فزاني : ألا يوجد في هذه الدنيا النسيحة من حقّ ؟

« الناسك : حقّ ؟ ألا تعرفين أن هذه الدنيا هرّة لا قرار لها ؟ فجموح هذه الخلائق إنما تخرج من تقلّب الدم باحثة عن حقّ يحميها ، ومن ثمّ تدخل ثانية في فوّهة الطواه اللامتناهي ، وهناك تفقد آثارها . ها هي ذي أشباح الكذب والرياء تتخايل من حولك رواحاً وجيئة في سوق الأوهام والخيالات ولا تعطيها من غذاء ، اللهمّ إلاّ عدماً باطلاً . انها إنما تحرّك فينا نهمة الجوع ثم لا تكفينا . ابتعدي من ثمّ يا بنيّتي ! ابتعدي

* * *

الناسك : لقد بدأ الليل يحلك ظلامه ، وتشتد وحشته . إنه يخيّم على كاهل الوجود كأنه امرأة مهجورة . أما هذه النجوم ، فتموعها استحالت ناراً !

« أمي يابنيتي . . لقد ملأت أحزان قلبك الصغير كل ليالي حياتي بالألم والضنى ، والى الابد . إن يدك الجميلة قد تركت لمستها الرقيقة في نسيم هذا الليل . إني أشعر بها على جبيني يا حبة القلب . إن تهدداتك قد تبعثني لما أن فررت بعيداً ، وتعلقت بقلبي . ولسوف أحملها حتى مماتي .

* * *

الملكة جيرانانى : تكلمي الآلهة

« هل أغضبتك يا أمي العزيزة ؟ أنتزع تنحين المستجديات أولاداً يبعثهم ليبعثن بها يبذل لهن من ثمن ، والباغيات يتسلقن ليسلمن من العار . وهأنذا ملكة عظيمة ، وعند قدمي تسجد الدنيا كلها . هأنذا أمضي باحثة بلا أمل في أن أحظى بطفل أضمه الى صدري لعلي أنعم بعاطفة تجعل حياتي أغلى قيمة وأكبر خطراً . أي جرم اقترفت ، وأية كبيرة ارتكبت يا أماه لاستحق كل هذا ؟ ومن أجلها تطردينني من ملكوت الآلهات ؟

* * *

بين راغوباتي الكاهن وجاسنج خادم المعبد :

« جاسنج : ما الذي حدث ؟ أيتها الآلهة الرحيمة أهذا أمرك ؟ أرغبتك في أن يقتل الأخ أخاه ؟ سيدي ! كيف تقول إن هذه هي إرادة الأم ؟

« راغوباتي : لم تكن لدي من وسيلة أخرى لأخدم إلاهتي

« جاسنج : وسيلة ! ولماذا الوسائل ؟ أيتها الأم : أليس لديك سيفك القاطع لتنفذي أمتر بيدك القوية ؟ أهو لزام أن تذهب ارادتك حافرة تحت الثرى انفاقاً ، كما يفعل اللص القاتل ، للسلب سراً في الظلام ؟ يا للخطيئة !

« راغوباتي : ماذا تعرف عن الخطيئة ؟

« جاسنج : ما عرفته منك !

« راغوباتي : إذن قف معي ! قف وتلق درسك ثانية مني . ليس للخطيئة من معنى في الواقع . إنك تقتل لتقتل . ليس في ذلك من خطيئة أو أي شيء آخر . ألا تدري أن ثرى هذه الأرض إنما يتألف من عدد غير محدود من حوادث القتل والتفظيع ؟ إن الزمن

القديم ما ينفك يخط حوادث الحياة المنحدرة في جوف العدم مع خلوقتها بمداد من دم ! يضع القتل أينما تصوّر . في القفر المجدب وفي مغائر الانسان . وفي عشوش الطير ، وفي حفر الحشرات ، وفي البحر وفي السماء . وهنالك قتل من أجل الحياة ، وقتل من أجل التسلية وقتل للاشيء أصلاً . ان الدنيا تقتل من غير أن تهدأ نوبتها . وكذلك الإلهة «كالي» روح الزمان الفائض بالفتنة ، واقفة ولسانها العاطش مندلع من فمها ، وكأسها بيدها ، حيث إنيه يتسرّب دم الحياة الفاني ، كما يتسرّب الرحيق الى الدّنان من عناقيد العنب الشهية .

« جاسنج : قف يأستاذي . إذن فالحب تضليل والرحمة سخرية ! وكل ما في هذه الحياة من حق بالثأر منذ أبعد الأزمان ، منحصر في تهمة القتل والتعطش الى الهدم والتحطيم ؟ واذا صحّ هذا أليس من المعقول ان تكون الحياة قد حطم بعضها بعضاً وفنت منذ أزمان قصية ؟

« يأستاذي : إنك تعرف الحق كما تعرف الباطل . إن شرائع القلب ليست بذاتها شرائع الكتب المقدسة . العيون لا تستطيع أن ترى بنورها هي . بل يجب أن يأتيها النور من الخارج . أعف عني يأستاذي . أعف عن جهلي .

« من ذا الذي يقول إن طرق الدنيا ملتوية متعسّرة ؟ على أية حال سوف تصل بنا الى النهاية . النهاية التي ينتفي معها سلطة الشرائع والأحكام ، وتنسى معها خطيئات الحياة وآلامها ، حيث تلك الراحة الأبدية .

« ماذا تجدي عنا الكتب المقدسة ، والمعلمون وتعاليمهم ؟

« لا يأستاذي : لا تحدّثني عن الحب . فلا فكر داثماً في الواجب . إنما الحب كالطحلب الأخضر وكالأشجار وكوسبتي الحياة ، كلها أشياء ينعم بها سطح الأرض . إنها تأتي وتنمو كالأحلام ..... ولكن من وراء هذه الأشياء يكون الواجب ، كطبقات الصخور العاتية ، أو كحمل ثقيل لا تزحزحه النّوى .

ooo

« ماليني : لقد حانت سادتي ، وأصبحت حياتي كقطرة الندى المترقرقة على زهرة النرجس ، تهتز خائفة في طيات الزمان . إني أشعر دنيّ ، فخيل إليّ أني أسمع صوت المياه ، وفي قلبي حرقة لا أعرف سببها .

« لقد سقى القمر في هذه الآونة من بين السحب وروح السلام يرف على صفحة السماء ، كأنه يحتضن الدنيا برمتها بين ذراعيه ، تحت ضوء القمر العظيم ... من هنا تنحدر الطريق وتمتد الى حيث تفقد آثارها بين الأشجار الشيقة بظلالها الصامتة . وهنا تقوم البيوت . وهنالك يقوم المعبد . وشاطىء النهر يلوح من بعد صامتاً موحشاً . فالظاهر أني هبطت ، كباطل ينتفض فجأة من سحب كلها أحلام ، الى عالم الانسانية ، فكنت على جانب الطريق .

* * *

« كيمنكر : انها لاسوأ اللحظات تلك التي يخدع الانسان فيها قلبه . فان الشهوة العمياء تصبح كتاب صلواته ، وتتربع الأوهام على عرش آلهته . أمن وراء هذا القمر ، الذي يستلقي نائماً بين السحب الصاوية الصباباً ، يكون عالم الحقيقة الخالدة ؟ الصبح السافر سوف يفشانا في الغداة . وستبدأ الجماهير الجائعة تجوب أنحاء بحر الوجود بآلاف من الشباك ، وقلما يتذكرون هذا الليل الهادي بأضوائه القمرية ، الا كما يتذكرون غشاءة رقيقاً من الباطل تنسجه سنات النوم ، أو الاشباح ، أو الأوهام . إذ تلك الشبكة السحرية التي تنسج عادة من مفاتن خادعة تجديها امرأة ، فكذا مثلها ، وهل يمكن أن تشغل محل الحقيقة العظمى ؟ هل لعقيدة يخلقها وهمك أن تلقى عطف الماجرة ، إذ تتلقى ثمراتها ، وتشتد حرارتها ؟

* * *

« إذن يجب عليك أن تنتزع نفسك من أحلامها والقي أمامك . فان البيت القديم الذي أوتيه العمود ، تلتهمه النيران . وأرواح أسلافنا تطير متناوحة فوق الخرائب ، كطيور تصرخ باكية على عشوشها المحطمة . أهذا وقت التردد ؟ حيث الليل منشد الملك ، والأعداء يطرقون الباب ، والرعايا نائمون ، والثائر مستتر بأوهامهم ، وكل منهم يضع يده على خنجره أخيه ؟

* * *

وفي أيام المحن تنحل أقدس الروابط ، فالأخ يحطم أخاه ، والصديق يخون الصديق . سأخرج في الظلام ومن ظلام الليل سوف أدرد ، لأقرع الباب . فهل سأجد صديقي واقفاً بانتظاري ، وبيده مصباح مضيء ؟ سأعمل هذا الأمل بين جوانحي .

تنمية مدارك
الطفل

غاية التربية والتعليم أن تعين على النمو : فالروح تنمو باستخدام مداركها ، والمدارك تنمو بانفرادها نفسياً تلقياً وتعبيراً ، وهذه مظاهر مرتبط بعضها ببعض لا انفصام لها . إن عمل المعلم هو أن يجعل كل عضو لنفسه ، أي اذا أريد للطفل أن ينمو في عقله وجسمه فعليه أن يستخدم مداركه إذ أن لذة استفادة الطفل من جميع مخارج التعبير التي منحه إياها البارئ عز وجل تتوقف على مقدار نمو مداركه وسعتها ، فالنمو الذاتي من طريق التعبير الذاتي هو الأول والآخر في التربية والتعليم وعليه المعوّل ، فعلى المعلم أن يقدّم الرغبة والارشاد ، والمادة والكتاب ، ويقف عند هذا الحد ليترك لشخصية الطفل مخرجاً ، ولكن المعلم في مدارسنا في أكثر البلاد العربية يتداخل الى درجة قصوى ، ويظهر تأثيره في كل شيء بحيث يصبح العقل آلة مسيرة فهو الذي يشرح الدرس ، وهو الذي يكتبه على اللوح الاسود بلا انقطاع ، والطالب لا يقدم على عمل ما ، وقد يقوم بعمل ميكانيكي تقليدي ، وبذلك تمحى الصلة بين الادراك والتعبير بسبب تدخل المعلم ، فلا يترك الطالب يسعى لنفسه : « وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى وأن سعيه سوف يُرى »

إن خبرتي في التربية والتعليم تحملني أجهر بما يأتي :

إن سبب تقهقر مدارسنا ناشيء عن فقدان الطالب حريته في التعبير ، فلو سئل المعلم لِمَ لا تسمح للطالب بأن يعبر بحرية عمّا يعلم لأجاب : إن ترك الطالب يعبر بحرية ، يعود بنتائج غير مرضية . وهو جواب غير صحيح لأن نظم التربية والتعليم التي يسير عليها المعلم قد عوّدته أن يهتم بالنتائج المحسوسة الظاهرة — تلك النتائج التي تظهر امدرسة هي الاتقتيش أو عند الامتحان بنظر رائق ، فهو يخشو صولة التنظيم المتبعة أن تقضي عليه ، اذا ترك تلميذه يتدرّج بالتعبير الحر ، لأن أول مصدر النمو في الطفل تكون مقرونة بجهل ، وعدم

التأديب ، وعدم الترتيب ، والمعلم يخشى هذا ، ولا يسأل إلاّ عن الأشياء المرتبة الصحيحة ، كي تتيسّر له عند الزائرين . ومن هنا نخلص الى نتيجة ظاهرة تنخر في قواعد مدارسنا وهي أن التفتيش في المدارس لا يجري على الأفراد بل على المجموع قاطبة ، وإن الامتحان في نهاية كل فصل ينظر فيه الى عمل المجموع : فما دام التفتيش وراء المعلم يحمه ، وما دامت الامتحانات تحدق به ، فهو لا محالة يعمل على ارضاء المفتشين ، ويزين لهم نجاح طلابه بالنتائج المرضية

كلنا يعلم أن المعلم يسعى لا ليؤسس الطفل على قواعد ثابتة ، بل ليبقي في عقله بيتاً من المعلومات أوحى من بيت العنكبوت ، في ظاهره زخرف القول ، ابتغاء مرضاة المفتشين ، كأنما الغاية من التربية ارضاء المفتشين ، والنجاح في الامتحان . إن هول الامتحان وشبحه المخيف لا يزايل فكر الطالب — فالامتحان يهدده أنى سار ، فاذا ما عبر الطالب فيه عمّا يخالج نفسه ، جاءت النتائج على غير ما يشتهي المعلم ، فرسب في صفه الحول أو الحولين ظلماً وقسراً وهو ليس بالملوم ، فالامتحانات خطرة ومخيفة وأغلب ما تكون تتائجها ناقمة مضطربة ، والأحرى أن يسمح للطالب أن يعبر عن نفسه بطريق غير الامتحان : فانه إذا لم يسمح له بذلك في بدء حياته الدراسية صعب عليه انتهاج ذلك في باقي حياته . إذا أردنا أن نعين الطفل على النموّ ، وجب علينا أن نقدم شيئين بسخاء وكرم وهما : الغذاء والرياضة — فالغذاء ضروري للنمو ، والحاجة الى الرياضة كبيرة وليست بأقل أهمية من ذلك لنموّ الجسم فأطرافنا وأعضاؤنا وحواسنا ومداركنا لا تنمو إلاّ بالرياضة ، وإنها عند ما تصل الى أقصى درجة في النموّ ، لا يتيسر بقاؤها على الكمال الذي وصلت إليه إلاّ بالاستمرار على الرياضة . ولما كانت القدرة على النموّ غير محدودة في المدارك العقلية والروحية ، كانت الرياضة الدائمة ضرورية لها ، ولا يمكن الاستغناء عنها . ففي عهد الطفولة حيث تكون عوامل النموّ والاتساع في أقوى درجاتها ينجم عن ترك الرياضة عواقب وخيمة ، لا يمكن تقديرها . فاذا حصر طفل صحيح الجسم في سريره حولين من أعوامه الأولى بلا حركة أو درج تضرّر جسمه ، ولا سيما أطرافه ضرراً كبيراً .

وهناك حقيقة أخرى وهي أنه يجب أن يقوم بفعل النموّ الطفلُ نفسه لا غيره ، ولهذا

يجب أن يتناول الطفل الغذاء الذي يقدّم إليه بنفسه ، ثم يهضمه بنفسه ، وكذلك نمو أعضائه ومداركه ، فهو وحده الذي يجب أن يمرنها لا غيره : فالنموّ هو الشيء الوحيد الذي لا ينوب عنا أحد بالقيام به ، كما لا يأكل أحد بالنيابة عن غيره ، لأن مشاهدة الآخرين يأكلون لا تغذي أجسامنا ، كما لا يقوي أطرافنا مشاهدة آخرين يمرنون أطرافهم : فالعوامل التي تعمل على نمو الطفل تأتي من الداخل فله — وله وحده — أن يغذيها وأن يستعملها ، وأن يظهرها ، وهذا أمرٌ لا ريب فيه ، إلاّ أننا كثيراً ما نقضي عنه ، رغم جلائه ، لأن أشد الأمور إهمالاً أظهرها وأقربها تناولاً .

إن جميع الحقائق التي ذكرتها آنفاً لا تجد لدينا إلاّ أن الأخذ بها أمرٌ لم يتم بعد ، فيظهر أن نظم التعليم في أكثر الأقطار العربية تتغاضى عن هذه الحقائق ، ولا تقدّرها حق قدرها . لقد كان همّ المعلم أن يقدم للطفل كل شيء ، فهو الذي يغذيه ، وهو الذي يهضم له طعامه ، وهو الذي يأخذ بيده ليتدرّج به على نمو خطاه ، وتمرينه على المشي ، وبذا يصبح الطفل أسيراً مراقباً ومسيطراً عليه .

يحدد المعلم للطفل كل ما يجب أن يقوله أو يشعر به ، ويحصر له ما يجب أن يفكر به ، أو يكتبه ، أو يعمله فيلقي على سطح عقله شيئاً من المعلومات ، ولا يتركه وشأنه لحظة واحدة يفكر فيها منفرداً أو يدرس فيها أو يلجأ فيها الى كتاب يسترشده ، ليكتب ما توحي إليه مداركه ، وهكذا يحول المعلم دون الاستقلال الفكري في الطالب ، فيخرج ضعيفاً في المدارك التي يستولي بها الانسان على العالم ، ويعيش حياته كلاًّ على مولاه الأستاذ الذي قضى على شخصيته ، فطرحه في هذا العالم آلة معطلة لا يعرف للحياة معنىً ، ولا ينشد معنى السعادة من أين وكيف جاء هذا الفهم المغلوط في غاية التربية والتعليم في مدارسنا ؟

لنسأل أنفسنا ما هي المدارك التي تنميها مدارسنا ؟ إن نظرة واحدة إلى جدول الدروس تبين لنا قسمين من العوامل : فالقسم الأول يسمى الإدراك ، والقسم الثاني يسمى التعبير ، فحينما تدلم الدروس من التاريخ والجغرافيا والعلوم الحديثة تكون الغاية تنمية مدارك الطفل المتلقية ، وحينما تعلم دروس الأشياء والرسم والانشاء تكون الغاية تدريب قوى الطفل المعبرة إن المدارك المتلقية هي التي تمكننا من فهم ما يحيط بنا ، وهي ترسم في أنفسنا ، ثم تصبح

ملكاً لنا ، وهي تنقسم قسمين : الأول يختص بالمدارك العقلية التي بها نرى ونلاحظ ، ونفكر ونتأمل ، وندرك ونفهم ، ونحلل ونركب . والثاني يختص بالمدارك العاطفية ، وهذه نسميها أيضاً . فالقسم الأول : المدرك والثاني الانجذاب .

وتقسم المدارك المعبرة إلى ربما أقسام بحسب طريقة وجودها التي تبرزها ، وللعلم الحرية التامة في استخدام هذه المخارج والاستفادة منها . فالأول اللغة ، والثاني الحركة الشخصية والثالث العمل اليدوي ، والرابع الفن ، ويتفرع تحت المخرج الأول تعلم المواضيع مثل الإنشاء ، الخطي والشفوي ، والقراءة الجهرية والصامتة والاستماع . ويدخل المخرج الثاني تعليم المواضيع كالتمارين الرياضية والألعاب والتمثيل ، ويتفرع المخرج الثالث عن تعليم المواضيع كالنجارة والبستنة في مدارس البنين ، والخياطة والطبخ في مدارس البنات ويدخل ضمن المخرج الرابع تعليم المواضيع كالرسم والتصوير والموسيقى . بقي علينا أن نسأل أنفسنا ما هي الصلة بين المدارك العقلية والمدارك المعبرة . وهل من الممكن أن ننمي كلاً منها على حدة ، وهل في الإمكان أن نخصص هذه الساعة لتدريب المدارك المعبرة وتلك الرياضة المدارك العقلية ؟ كلاً — لا يمكن ذلك لأن المدارك العقلية والمعبرة لا يمكن اعتبارهما وحدتين مستقلتين — فالواحدة متممة للأخرى ، وكل واحدة منهما بمثابة الروح لغيرها ، فإذا انفصلت الواحدة عن مكملتها فلّت وتعطل عملها .

إذا كان الادراك حيّاً احتاج إلى التعبير ، وإذا كان التعبير حيّاً احتاج إلى الادراك وعلى ذلك فإنه إذا كان التعبير حيّاً ناشئاً عن ادراك فمعناه كان محور انتقال بالأشياء حيّاً حقيقياً . إن عوامل الادراك تنمو في الطفل وتظهر بواسطة التعبير لا بطريقة أخرى ، أما عوامل التعبير فلا تنمو إلاّ بطريق الادراك . فالطفل الذي يحاول أن يرسم ما يرى يتوجب فيه قوة للملاحظة ، كما إنه ينمي قوة التعبير ، وكلما تبين الأشياء التي رأى تحت إدراكه أو حسه ازداد عمله ، وحتى ازداد فهماً للأشياء زاد عقله واتسع ذا رأي سديد ، وفكر ثاقب . فالمرء الذي يحاول أن يعبر عن آرائه في مسألة حربية أجتماعية كانت أو سياسية ، أو طبيعية أو اقتصادية ، فإنه يسعى بهذه المحاولة أن يبين عن فكره بكل جلاء ، فيجعل من الاضطراب السائد في نفسه انتظاماً وتنسيقاً . وكلما كان الإنسان عاملاً منظماً ، وتعمق في المرضوع اتسعت مداركه ، واهتدى إلى نواح جديدة لم يكن قد وصل إليها من قبل : فالطفل الذي يحاول أن يرسم ما يرى إنما يكرر اتصالاً دائماً بين الادراك والتعبير ، لأن كلاً منهما يساعد على اظهار الآخر حتى في المواضيع الجافة من الرياضيات .

يافا — فلسطين

ثريا سعيد الشاعري

الوبيلة ، مقرونة بأنماط شتى من العادات والتقاليد القبيحة أو المستنكرة عرفاً وشرعاً !

فنحن لا تهمنا قيمة المنهج العلمي الذي نستهديه في حبكه وتنظيم وسائل الارشاد بقدر ما تعنينا الناحية السيكولوجية ذات الأثر المباشر في إحداث الانفعالات الشعورية المطلوبة ، ومع ذلك فلن يتم لنا وجه الافادة من هذه الناحية ، الا بعد تفهمها ، إلا إذا درسنا بصورة منظمة ، ملامح وخصائص هذه الأوساط الدنيا سواء في الريف أو في الحضر ودرسنا كذلك حاجات ومطالب السواد الأعظم من جماهير الشعب المصري في طول نواحي المملكة ، عندئذ يجد المرشد الاجتماعي أنه على بينة من هدفه وعلى ثقة من سلامة اتجاهه واستقامة جادته .

وهنا نستشعر مرة أخرى قيمة « المراكز الاجتماعية » كعامل هام في دراسة « البيئة السيكولوجية » للوسط أو البيئة التي وجد المركز الاجتماعي من أجل تفهمها وخدمتها ، إذ الواقع أن ما سيؤديه المركز الاجتماعي المزود بـ « الاخصائي السيكولوجي العملي » — « Psychologue Pratique » لن يقل من حيث قيمته وأثره ، عن النواحي الصحية والاجتماعية والفنية التي تستهدفها هذه المراكز بأخصائييها المتمكنين في هذه النواحي جميعاً .

ولسنا في مقام الاقامة العلمية المنهجية لمناهج هذه الدراسة ، ويكفينا أن نقول إنها ستعتمد كل الاعتماد على مناهج علم النفس التجريبي المعني بنفسية الفرد ونفسية الجماعة ، كما ستعتمد على علم الاقتصاد الاجتماعي وعلم الصحة العقلية ، فضلاً عن الأسس التجريبية للبيداجوجيا الاجتماعية كعلم وفن ، وفي حدود ما تقتضيه مهمة إرشاد هذه الجماعة ، على تفاوت خطورتها من الاستنارة ، من الاستعانة بأساليب الارشاد العصرية ، التي هي في ذات الوقت أساليب « سيكولوجية » لتوجيه والتثقيف والعمل .

والتدليل على صحة ما أسلفنا هذا الحديث إليه ، نذكر مثلاً ان السينما ، وقد أصبحت اليوم من أهم وسائل الدعاية في العالم ، تعد وسيلة محققة النفع والأثر ، من ناحية إحداث الانفعال الشعوري المطلوب الذي يعد بدوره ذريعة إلى الاقناع العقلي وتحقيق التجانس الفكري تدريجاً بين أفراد الوسط الاجتماعي المطلوب إرشاده وتهيئته لتقبل فكرة كل إصلاح اجتماعي جديد . فربَّ شريط سينمائي قصير من الأشرطة التعليمية أو التثقيفية التي

أحسن اختيارها واخراجها ، أجدى أثراً من مجرد محاضرة أو مقال يلقى ليعقب بعد ذلك نسياً منسياً .

ولنتصور مثلاً أننا نريد أن ندعو إلى موضوع اجتماعي معين كتوحيد الزي — وهي مسألة كثيراً ما أثيرت في أوقات ومناسبات مختلفة — أفلا نرى بداهة ، وبمجرد انفعالنا الشعوري ، نحن كشعراء ، بهذه الفكرة ، الى فيلماً قصيراً يعالج الفكرة بصورة لطيفة جذابة ويعرض في مختلف أنحاء البلاد [1] ، وخصوصاً لو عُزِّز في فترات دورية بأفلام قصيرة أخرى تعالج ذات الموضوع — يكون عندئذ أبلغ وقعاً وأعمق أثراً في نفوس الجماهير من عدة أحاديث ومحاضرات تلقى لمحاولة إقناعهم بالمزايا الاجتماعية التي تعود على البلاد وعليهم من « توحيد الزي » ؟

والمسرح ، كوسيلة أخرى من وسائل الارشاد الاجتماعي ذات الأثر النفسي البالغ في نفسيات الجماهير ، له بدوره خطره وأثره العميق في توجيه الشعب . ولا يجمل بنا أن ننسى أنه كان وسيلة التربية الشعبية الوحيدة عند الأثينيين القدماء ، ولقد أجدى على اليقظة الاجتماعية اليونانية في تلك العصور الزاهرة ما لم تجده فلسفات حكمائهم وتفكيرهم الأعلام عند محاولتهم تحقيق علم السكال أو « اليوتوبيا » .

والأمر يتوقف في المسرح أيضاً ، وإلى حدٍّ كبير ، على حسن اختيار القصص التي تعد للتمثيل ، فلا تكون من أنواع التافه الذي لا يهدف الى غرض ما ، بل يجب أن تعالج بعض أمراضنا الاجتماعية التي نشكو منها ، مع العمل على إيجاد عدد كافٍ من المسارح الشعبية الثابتة والمتنقلة ، تستجيب لمطالب الاصلاح الاجتماعي من ناحية ، ولمطالب وروح الطبقات الشعبية المختلفة من ناحية أخرى .

وهنا يجب ألاّ نغفل حقيقة نفسية هامة تجدر بنا أن نستهدي بها في وضع اختيار المسرحيات والموضوعات المقدمة لكل من المسرح الشعبي والسينما المتنقلة ، تلك هي ما نلاحظه على سواد الشعب المصري من أنه حاضر الملل سريع التحوّل زاهد في الاطالة والتعمق واستطلاع المعلومات من المقدمات الطويلة الخ .

(١) من المفروض ان كل مركز اجتماعي يحتوي على قاعة لعرض السينما .

فقمين بكل سياسة إرشادية تعني بتوجيهه عن طريق معاير تحسبا أولا أن تحاول فهم هذه الطبيعة وميولها ومنازع أهوائها وهواياتها كي تتوخى في استخدام الوسيلتين بأسلوب ناجح لايضجر هذه « الطبيعة » ولا يُبلّدُ من ناحية أخرى إحساسها واستعدادها للاستجابة والتأثر عن اقتناع وفهم .

وعندي ، وأنا في معرض هذه الدراسة النفسية من ناحية القيم الشعورية التي تعنى بتحويلها الى مؤثرات حسية ومعنوية تجدي في نشر وإذاعة الأنماط الاجتماعية الصالحة بين عامة أفراد المجتمع المصري ، أن الحكم على قيمة « المؤثر » وحده يجدي خبرة وكفاية من نيطت به مهمة الحكم ، وخوّلت له سلطة اختيار الموضوعات المناسبة ذات الوقع العميق والأثر البعيد في إقناع أبناء الوسط المراد إصلاحه ورفع مستواه الخلقي والمعنوي عن طريق الارشاد . أما ترك الأمر فرضي أو جعله في أيدي لجنة يختار أعضاؤها حيثما اتفق ، أو ممن تغلب عليهم النزعة الديوانية البيروقراطية ، لا الكفاية الفنية ، فهذا ما يؤدي بكل سياسة إرشادية ، مهما استعانت بأحدث آلات السينما وأوفر مهمات المسرح وادارته ، الى فشل ذريع وافلاس أكيد وضياع تام لما تتكبده الدولة من نفقات طائلة تنفق في هذا السبيل ! .

ولا شك أن محاولة دراسة الأساليب والطرق المتبعة في بعض البلاد الأجنبية ، وبخاصة انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية التي أتاحتا لنا خلال الحرب العالمية الأخيرة مشاهدة نماذج من أفلامها الاجتماعية والثقافية ، سيعين « اللجنة » أو « اتجاه » التي ستعنى بهذا الموضوع الهام في وزارة الشؤون الاجتماعية إعانة تذكر ، بل إني لأذهب الى أبعد من ذلك فأقرر أن في الامكان اختيار المناسب الملائم لعقلياتنا والطريف مستواه الاجتماعي من هذه الأفلام ، وترجمتها الى اللغة العربية بطريقة الدوبلاج ، ثم الاستعانة بمذيع خاص من هؤلاء الخبراء السيكولوجيين والاجتماعيين لكي يوزع مهمته التعليق بصورة أخاذة ومشوقة على حوادث الاشرطة المعروضة ، وذلك في أثناء عرضها على جمهور المشاهدة .

ويسرني أن أذكر في هذا المقام ، أن وزارة الشؤون الاجتماعية قد اقتنت أخيراً الى جهاز سينمائي من نوع معين يمكن بواسطته عرض المناظر منظراً منظراً ، بصورة يمكن معه

التطبيق على كل منظر على حدة ليسهل على جمهور « الفلاحين » أو « العمال » سبيل تفهم الموضوعات التي تذيعها وتعرضها هذه الأفلام فينفعل شعورهم بمرئياتها وتتهيأ ملكاتهم العقلية ، التي لم تتثقف بعد ، لتتفتح على ما تنطوي عليه من إيحاءات قوية وتوجيهات مقنعة وإرشادات تخاطب بأساليبها وجدانهم وشعورهم الباطن قبل أن تخاطب العقل والمنطق على طريقة المعاهد والكليات ؟! .

* * *

والحق أني لست في حاجة الى الاطالة في تأكيد قيمة « الدراسة النفسية » من حيث خلق وتكييف « المؤثر » النفسي الذي يجب أن تنطوي عليه كل دعوة إرشادية صحيحة تود لها النجاح على طول الخط ، وفيما اخترته من الأمثلة السابقة ، التي سقتها على سبيل التمثيل لا الحصر ، ما يضع نصب أعيننا الحقيقة التالية ، وهي أن سياستنا الارشادية التي تضطلع الحكومة اليوم بأوفى نصيب من أعبائها وتكاليفها ما زالت في حاجة ماسة الى تقعيدها على الأسس والقواعد التي حاولنا شرحها تباعاً فيما سقناه من أحاديث.

وأما شدة حاجتها الى تقعيدها على أساس راكز من هذه الناحية التي سقنا اليها الكلام في هذا المقال ، فأمر لا يحتاج الى طويل مناقشة ، كما أنه أمر لن يتحقق ، كما كررت ذلك مراراً ، بمجرد تأليف « لجنة » أو « لجان » لا تسندها الكفايات الملمة بأصول وظائفها واختصاصاتها العارفة بخطورة الواجب الملقى على عاتقها ، وهنا نحس أولاد إذا كنا في حاجة الى بعث بعوث الى الخارج للتخصص في النواحي التي سقنا إليها الكلام في موضوعاتنا السابقة ، فاننا أحوج ما نكون الى بعوث وبعوث لنمد بها هذا الذي اصطلحنا على تسميته بالـ Psychologie Pratique الذي يكون في مقدوره أن يعطي لموضوعات الارشاد عن طريق السينما والمسرح بل والاذاعة اللاسلكية ، روحها المسيِّرة ، وقيمها الشعورية المتجاوبة مع نفسيات الطبقات الدنيا من الشعب ، عندئذ نستطيع أن نقول إن لنا سياسة إرشادية غير مرتجلة ، وعندئذ نستطيع أن نؤمل كثيراً من الخير لهذا الوطن العزيز.

جمال الدين حسني
رئيس قسم الارشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون

نظرة في البشرية

وطموح البشر الى السعادة

لاح لي يوماً ملاكٌ في خيالاتي يطيرُ
هو للعالمي نذيرٌ ولذي التقوى بشير
صاح يا سكان هذي الأرض ما هذا الغرور
ملء مسعاكم خداعٌ ملء مجناكم شرور
ذا حسودٌ ذا حقودٌ ذا دنيٌّ ذا غدور
ذاك طاغٍ ذاك زانٍ ذاك زنديقٌ كفور
مع هذا كل مر ماكم صفاء وحبور
كيف ترجون صفاءً وطموحاتكم كدور
وصفاء العيش في الفردوس تمثيل صغير
يا أمير اسمع متى تطمع ربا هذا الأجير
إن كنه السعد في الفر دوس طهرٌ فسرور
يا بني الأطماع أيٌّ منكم الذاكي الطهور
أهل ذا الشرط قولوا لكم عزمٌ يدور
ثم ترجون نعيماً هكذا الحق الكبير
ودليل الحس بادٍ ليس في الحس قصور
أي ملك وأمير أي ذي علياً استشيروا
أو بني الحقل أو الصناع والتجار زوروا
وبذي الخدمة والمنهوك والبطال دوروا
اسألوهم كلهم هل فيهم راضٍ شكور
من ينله الصفو يوماً تجبهُ الهمُّ شهور
قد حكمنا كل أمرٍ فاشتكت منا الأمور
عندنا التدليس حذقٌ وعلى الصدق نكير
وانقياب وهجات بها السهل وعور

ليس يدري غيرها المؤ نس فينا والمسير
إن حظرناها عليه فصمونٌ لا يحبر
واذا وافى الذي كنا عليه نستنير
تالبيه وعلى أعـراضه كنا نغير
حلّ منا الذّروة العلـيا كما يعلو الأمير
هكذا فينا نفاقٌ طبه الجبن الكثير
ثم نفسي ما لقترفنا من سفالات تصير
ورى حقًّا لنا بالكبر يا بئس الغـرور
لا اختراعٌ لا اكتشافٌ لا حضاراتٌ تنير
لا علومٌ لا فنـون لا سراياتٌ ودور
لا اختصارات مـا فات بها هاذ للسير
لا سياسات حكيا ت ولا والٍ قدير
كل هذي النعم لخـترعت بشيء لا يضير
ملبت ظاهر أمر وعلى الباطن سور
وعلى الخبث من البا طن لم يهجم مغير
نحن ما زلنا كما كنـا عما اعتدنا نسير
حالنا من عهد نوحٍ هي ويلٌ وثبور
ظلت الفطرة رعـناء وما منها مجير
وضحايانا بحب لقدات جهورٌ غفير

* * *

لا تقولوا خف من ويلاتنا الشيء الكثير
وعدنا وبنـا في رخا عيش غرور
إن زعمتم أن فضلنا جدنا الأعلى تجوروا
لا تقولوا العلم أمجدى لا تقولوا العلم نور
امتدى بالعلم رهطٌ وانثنى جمع يسير
بعد خير العلم طلاً ويله ويلٌ غـرير
هل رجى الطيجا بغير الـحرب ذا العصر تدور
قاطراتٌ دارعاتٌ طـائراتٌ فصقـور

وانفجارات جحيم لا يضاهيها سعير
كم عباد كم بلاد في بلاياها تنور
كم صناعات وآثا ر تولاها الدثور
كم حقول وقجارا ت وأبناها تبور
يلهُ الشهر خطوباً عجزت عنها العصور
ذاك فضل الدنيا تِ اغتنمهُ يا غفور
ذاك نور العلم والف نُّ اقتبس يا مستنير
واهنَ يا من صاح صا ر الجوُّ عبداً والبحورُ

* * *

أيها الزاعم سبقاً تَهُ الى الخلف نسيرُ
ناكساً طوراً وطوراً رحوياً تستديرُ
سيءٌ حالاً وأسواء حالةٌ منك المصيرُ
ليس يجديك خليلٌ ليس ينجيك نصير
بل جهاد لهوى النف سِ على النفس يثور
كلُّ مجدٍ غير مبنيٍّ على ذا المجد زورُ
ما قياسُ الآدميين ذئابٌ وغمورُ
لا ولا جاهٌ عريضٌ لا ولا مالٌ وفيرُ
إنهم خلقٌ بذيل النفس متساز خطيرُ
تقسوم من دمهم شعـ ـلة قدس تستنير
أفسدوها أخدوها فهي لحمٌ لا يثيرُ
هل ترى تسترجع الـ ـنور وما حان النشور
أم ترى تبقى على ذا اللوم تحوينا القبور
ينصرُ ابن الغاب منه من يقينُهُ القصور
أنخل العنقين شلاً ذوَّانٌ أو شعير
هكذا الوضع أيكفينا شذوذٌ وندور
أما نحن طباعاً خشبٌ بالو حقير
اذ صبغناه ادَّعينا أنه خلقٌ نضير

الرائد اللاسلكي

- ٢ -

سلاح الحلفاء السري

حينما شنّ هتلر إغاراته الجوية الشعواء على بلاد انكلترا ، في اليوم الثامن من شهر أغسطس سنة ١٩٤٠ لم يكن هجومه مفاجأة للانكليز ، بل أمراً متوقعاً ، إذ سبقوا أن استعدوا له الاستعداد الواجب فأنفقوا في مكينة وروّية كثيمتهم أكثر من ٤٠ مليوناً من الدولارات ، وذلك في إنشاء سلسلة متواصلة الحلقات من أجهزة الرائد اللاسلكي ، لتؤدي ليلاً ونهاراً واجب الحراسة اللازمة لوقاية جزرهم ، من كل طائرة كانت تحاول اقتحام الفضاء الذي من البر البريطاني . فشرع الانكليز من سنة ١٩٣٥ في نصب هاتيك الأجهزة . وكانوا حينئذٍ يسمّونها (خط الدفاع الخفيّ) إذ أقاموا خمس محطات للرادار ، على ساحل البحر الشمالي . وفي سنة ١٩٣٨ حينما حلّ تشمبرلن مظلته وقصد الى مدينة ميونيك [1] في المانيا ساعياً الى منع نشوب الحرب ثقابت مساعيه ورجع بخفي حنين . وكان المهندسون البريطانيون حينذاك يقيمون سرّاً محطة أخرى للرادار . فأصبحت تلك السلسلة مؤلفة من ٢٠ جهازاً . فلما اجتازت الطائرات الحربية النازية البحر الشمالي ، قاصدة الى البلاد البريطانية كانت هذه متأهبة لاستخدام سلاحها السرّي المشار إليه ، للدفاع عن نفسها .

وغدا في وسع البريطانيين وقتئذٍ اكتشاف كل طائرة جوية كانت تصوّب نحوهم ، في حينها ، وصدّها بطائراتهم المقاتلة .

وكان البريطانيون في بدء الأمر ، عاجزين عن استطلاع الطائرات المغيرة على بلادهم ، عجزاً طفيفاً ، وذلك لأنها كانت تتوخّى ، إبّان الهبوط الى أهدافها ، عند دنوّها منها ، ما استطاعت إليه سبيلاً ، وإما جعل إغارتها الجوية مقصورة على ساعات الليل فحسب .

---

(١) هذا هو نطقها الصحيح وفق ما ورد في أحدث الموسوعات العلمية — لاميونيخ

واستمرّ الحال على هذا المنوال ، الى شهر سبتمبر ، إذ تلقى الألمان درساً أليماً غالياً إذ خسروا في غارة واحدة ١٨٥ طائرة من أسطولهم الجوّي المهاجم الذي كان مؤلفاً من ٥٠٠ طائرة حربية . وفي شهر نوفمبر غير الألمان خطتهم فعادوا الى الاغارات الليلية . ولكن المهندسون والعلماء البريطانيون كانوا يتوقعون هذا الانقلاب ، فاتخذوا من قبل الاحتياطات الواجبة لاحباطه ، وأمدّوا له أجهزة جديدة متقنة من الرادار . فتبين لهم أن هذا الرائد اللاسلكي الحديث ، أعظم تأثيراً في عمله في أعالي الليالي ، مما كان صنوه القديم ، يؤديه في وضح النهار .

وكان الطراز العتيق منه يدلّ على الطائرة المعادية ، بوساطة الموجة اللاسلكية المرتدة عنها ، فيظهر مصدرها العام للطائرات المقاتلة المدافعة التي كانت تعوّل في دفاعها ، على رؤيتها الخاصة وتمييزها الذاتي ، دون سواها ، في الاستدلال على العدو واصطياد وجوده المقصود على بلاعها .

وبتلك الوسيلة الحديثة ، كان يتسنّى للرقيب الأرضي اختيار أية طائرة ثانوية ، تظهر صورتها على مرآة جهاز الرائد اللاسلكي ، فيسارع الى اعطاء الارشادات المتصلة ، الى طائرة من المقاتلات التي تحت إمرته ، فتبادر الى تعقبها ، حتى تصبح على بعد يتفاوت بين ميل وثلاثة أميال من خلفها ، وتحتها مباشرة ، في طريقها تقمصه ، حيث تفتك بها .

* * *

وفي أوائل سنة ١٩٤١ ركبت أولاً أجهزة الرائد اللاسلكي ، في الطائرات المقاتلة الليلية . فتضاءلت خسائر الألمان في فصل الربيع من تلك السنة ، تضاؤلاً دلّ على مبلغ منافع الأجهزة المذكورة إنيها ، ولا عجب ففي شهر يناير ، كان تسعير طائرة ألمانية واحدة من قاذفات قنابلهم ، فوق بلاد انكلترا ، يعدّ نفراً واقعاً تسجله الصحف الانكليزية في صفحاتها بحروف بارزة ، فارتفع هذا الرقم في شهر مارس إذ بلغ ٢٤ قاذفة . ثم زاد في شهر ابريل الى ٥٢ وفي مايو بلغ ١٠٢ قاذفة . وما لبث عدد الاغارات الألمانية على البلاد البريطانية ، أن انحسر وتضاءل كثيراً إذ قرر هتلر حينئذٍ العدول عنها والشروع في مهاجمة بلاد روسيا ، وعلى هذا النمط قُهرت القوات النازية الجوية في الأجواء البريطانية .

(كيف قضى الرائد اللاسلكي على أخطار الغواصات الألمانية) : فصلنا هذه الوسائل تفصيلاً جيداً ، وذلك في المقال المستفيض الذي نشرناه في مقتطف مايو سنة ١٩٤٨ فحسبنا أن نوجز الكلام ههنا على ما قلنا ذكره هناك ، قصد الاشادة بمنافع هذا الاختراع الرائع فنقول : —

كان الألمان في بدء الحرب العالمية الثانية ، يلمحون الى طرد سفن الامريكان ، من أرجاء المحيط الاطلنطي كما دهروها شرّ دحر سنة ١٩١٨ في الحرب العالمية الأولى . وذلك بحشد غواصاتهم هناك لمهاجمة سفن الحلفاء . ومما يؤسف عليه ، تمكنهم من تحقيق أملهم في ذلك الشطر الأول من تلك الحرب الطاحنة إذ بلغ المتوسط اليومي لشحنات السفن التي أغرقوها من قوات الحلفاء ١٦٠٠٠ طن واستمرت هذه الحال حتى توصّل الحلفاء بالرائد اللاسلكي إلى اتقاء اخطارها ، كما سيجيء القول : —

كانت الغواصة في غابر الزمن ، تستطيع ليلاً ، الصعود الى سطح الماء ، فتملأ بطارياتها الكهربائية وتخزين الهواء اللازم لها ، في اسطوانتها ، بمنجاة من الخطر ، في أغلب الأحيان ، إذ لم يكن في وسع العدوّ استكشافها . فما إن اخترع الرائد اللاسلكي حتى صار ذلك الاستطلاع أمراً بعد عين ، لأن باصرة الرادار لا يخفى عليها أي شيء كان ، سواء أكان في الظلماء أم الضباب ، وإن تكن عاجزة عن اختراق الماء .

* * *

ولا غرو فقد أتيح للبريطانيين ، قبل قيام تلك الحرب الضروس ، اختراع جهاز رادار يُحمل في الجو ، فيستطلع غواصات العدوّ حينما تسبح على سطح الماء . وكان بدء استعماله في سنة ١٩٤١ فتجلّت لهم منافعه إذ ثبت لهم أنه يُمكّنهم من (رؤية) الغواصة على بعد يُربى على عشرة أميال . فاذا أضفنا هذه الطاقة ، الى قدرة الطائرة على قطع مئات الأميال في ساعة ، أصبح في مقدور الطيّار ، بالجمع بين هاتين الميزتين ، استطلاع الغواصات في مكامنها .

وما من شك أن الألمان كانوا قد أدركوا من قبل ، خاصة أو الفتين ، من خواص الرائد اللاسلكي ، وذلك عقب استيلائهم على جهاز من الأجهزة الأمريكية ، فجاروه نبراساً . وعلى

رته فازوا باختراع طراز لاقط لاسلكي ينبه الغواصة النازية الى الاختفاء في الأغوار
ا يستدل عنها على مقرها . ولما أيقن مديرو الرادار التابعون للحلفاء ، من استفحال
ب الغواصات النازية ، على أثر اهتداء الحلفاء الى أماكنها على سطح الماء ، عمدوا الى
ختراع جهاز جديد آخر ذي مرجة تغايرها في التقديم . وقضى الحلفاء بضعة أشهر في اختراع
ائد اللاسلكي الجديد المنشود ، فاستعملوه حقبة بعينة حتى ادرك الألمان بعد حلول
ل ديسمبر سنة ١٩٤٣ أن أجهزتهم اللاقطة أصبحت غير صالحة للغاية المقصودة بها . وكان
ء نتيجة تدمير مائة غواصة من غواصاتهم في زهاء ثلاثة أشهر . إذ وقع بنا هذا العدد
سة للغاصات . وضاق الألمان ذرعاً بخيبتهم السيئة فاستحضروا مهرة صناعهم الفنيين لينقذوا
يقف ، فهب كولاء لنجدتهم من ورطتهم . وعكفوا على استكشاف سر الطريقة الغامضة
اعتقدوا كون الحلفاء استرشدوا بها الى قنص الغواصات النازية . وفي سنة ١٩٤٤
ق الحلفاء بقرب ساحل فرنسا ، غواصتين المانيتين كانتا تتلاقى فرجاً من خبراء الألمان
جهزتهم . ثم وضعت الحرب أوزارها ، حينما كان الألمان لا يألون جهدهم في استكمال
راع أنبوب هوائي (هو الرئة الصناعية التي يسمونها بلسانهم شنوركل Schnorkel وقد
فناها في ملتطف مايو ١٩٤٨ وذلك في مقالنا على وسائل الحلفاء التي استعملوها لمرية
راصات النازية وهي الجهاز الذي يمكن الغواصة من بقائها مغمورة في الماء ما تشاء)[1]

ومن المحتمل أن هذه الرئة الصناعية الخالصة لم يكن مستطاعاً لرائد اللاسلكي الاهتداء
طرفها البارز فوق سطح الماء .

وكان للرائد اللاسلكي قسم خطير الشأن ، في صون قوافل السفن إذ كانت غواصات
لمان في بدء الحرب العالمية الثانية ، تهجم ليلاً ، زرافات ، من كل حدب وصوب ، على
افل سفن الحلفاء تتدمرها ، ولكن أجهزة الرائد اللاسلكي التي زودت بها هاتيك

(١) وبمذكرة ما تقدم جاء في البرقيات العامة في ١٩٤٨/٩/٢ من لندن : —
أعلنت وزارة البحرية البريطانية ان مناورة بحرية سقيداً بدأت في المناطق الشمالية الغربية لبريطانيا العظمى
وحدات كبيرة من الاسطول البريطاني مع عدد كبير من الغواصات المجهزة بآلات خاصة تسمح لها بالبقاء
أسابيع في جوف البحار

السفن فيما بعد حدّت من تلك الهجمات ، إذ أتيح لرائد اللاسلكي ، الاستدلال على الغواصات التي كانت تطفو على سطح الماء ، ومقاتلتها بالمدفعية ، ليل نهار .

وبالرائد اللاسلكي نسمّي أيضاً ، حلّ مشكلة السفن التي كانت تشرد عن سرب القافلة ، وكذلك التي كانت تتلكأ في سيرها أو تعدل طريقها ليلاً من دون علم قائد القافلة ، فتصبح فريسة باردة للغواصات النازية . وكان قائد القافلة البحرية يتوسل بالرائد اللاسلكي ليلاً على قافلته بأمرها أناء الليل وأطراف النهار ، فيكشف من فوره ، عن أية سفينة تشذ عن مسير القافلة .

ولا ننسى في هذا المقام ، أن حاملات الطائرات التي كانت تحرس سفن القوافل ، كانت تعاون أجهزة الرائد اللاسلكي معاونة جليلة ، على القضاء على غواصات النازي القضاء مبرماً ، حيث كانت الحاملات المشار اليها تكمل استطلاع الرائد اللاسلكي ، لكي لا يشمل آفاق المحيط الاطلنطي .

(الرائد اللاسلكي كسلاح لارشاد قاذفات القنابل) : وقد ثبت أيضاً أن الرائد اللاسلكي أنفع سلاح للهجوم . ويؤيد هذا القول ، حوادث هجوم القاذفات المتحالفة على بلاد المانيا . بيد أن الحلفاء لم ينظموا بأمانيهم من هذا القبيل إلاّ في سنة ١٩٤٣ ، إذ استطاعوا انتاج ما كانوا يحتاجون اليه من الأجهزة التي اخترعت خاصة للهجوم . وحينئذٍ اقتضى الأمر ، ايناد القوة الجوية الناشئة الى اتكاترا . وذلك في أواخر صيف سنة ١٩٤٣ ، حيث قضى أفرادها فصل الشتاء كله يتدربون على الدروس العملية الخاصة بالطيران في أجواء المانيا . وأسفرت النتائج عن كون فرقة من تلك القوة الجوية زودت طائراتها بالرائد ، واستطاعت قيادة أفواج من الطيارين ، بلغ عددهم ألف طيار ، في كل غارة جوية شنتها على مدن المانيا .

وكانت أمنية أمانيهم حينئذٍ أن يبعثروا الجو الجوي بأسره ابصاراً حية في كل وقت ليلاً ونهاراً ، مقرونة بتسديد قذائفهم الى أهدافها تسديداً صائباً .

« يتبع » عرض فتوح

قصة

صندوق الشيطان

الكرمانيول[1]

للكاتبة الفرنسية « ماري مانفرون »
ترجمة الآنسة : نعمت صفي

عندما جاءت مدام « بارتيون » للمرة الأولى ، إلى سجن المعبد ، ومعها ملابس الأسرة الملكية ، إذ كلفت بتنظيفها واحضارها إلى السجن كل أسبوع ، فانها لم تتمالك نفسها من الاضطراب ! ولكن كيف ذلك ؟!

ان مدام بارتيون ، تكره الظلمة الطاغية — من الملوك — وتعلن هذا الشعور الملتهب في باحة وحماس . . وتنتظر سنوح الفرصة ، حتى تثبت ذلك بأجلى برهان . وها قد دنت الفرصة ، وها هي صحبة حارس السجن ، تصعد الدرج المظلم ، وقد امتلأ قلبها بالتشفي والشراسة . . فاذا ما انتهت الى حجرة السجناء ، دلت الاذن بالدخول في كتمان وخفة . ولكن بمجرد أن دخلت الحجرة ، خفضت عيناها من نظراتها الوقحة ، من غير أن تدري لذلك من سبب . . ثم إنها شعرت أن صوت خطواتها يرن رهيب . . وثقيل !

من يكون هذا الرجل ، ذو الجسم الممتلىء ، والخدين المتوهجين ، الذي تراه أمامها . . أترى الملك ؟ أجل . . انه الملك من غير شك .

كان يرتدي في غير تأنق ، سروالاً من الصوف البنفسجي اللون . . وسترة بلية قد سكبت بعض أزرارها من عراها ، فظهرت من تحتها صدرة من الحرير المنقوش برسم زهار .

---

[1] ان أنشودة كان يرددها الثوريون في باريس عام ١٧٩٣

وبدت على وجه الملك سمة الوداعة والعلم .. أو ربما كان هذا رمز العظمة الحزينة ، وليدة المصائب والمحن !

كان لويس السادس عشر ، يجلس على كرسي كبير ، وقد أمسك في يده كتاباً ، وهو يملي منه املاءً على ولده الطفل الجالس الى منضدة أمامه .

ورغم أن هذا الطفل هو ولي العهد ، ابن مدام انطوانيت ، وهي أم لطفل مثله .. قد انجذب قلبها الى هذا الطفل الجميل الذي تبعثر جعد شعره الأشقر الحريري فوق كتفيه ، وراح بعضها يلتوي فوق الظهر .. ولكن ، هيهات العطف . أيلين قلبها لهذا الطفل ، وهو ابن لويس السادس عشر ؟!

وفي الطرف الآخر من الحجرة ، جلست امرأة ترتدي ثوباً بسيطاً من حرير اتفاقاه الرمادي اللون . وأمامها طفلة تجلس على كرسي صغير . إنها الملكة ، وقد انهمكت في تعليم ابنتها الحياكة .

كان الهدوء شاملاً . والملك يملي على ولده دروس الاملاء ، بنغم واحد متواتر . وفي المسافة ما بين الملك والملكة ، كانت شمس الخريف ترسم على بلاط الحجرة ، في خط مستقيم من نورها الباهت ، خيالاً ضيقاً مستطيلاً لنافذة ذات القضبان الحديدية .

وتريثت مدام انطوانيت هنيهة .. ثم أخرجت الثياب الملكية من سلتها ، ووضعتها على منضدة هناك . وكان الحاوس الذي أوصلها ، واقفاً ينتظر خروجها عند الباب . ثم لمحته وقد توارى .. فتبعت اثره راقبها . يا للعجب ! أيجول بخاطره أن تلك المرأة التي تلهب وثنية وحماساً تميل الى هؤلاء القوم ! حقاً إنه لمنتهى الجنون ! ...

ولكن يا لها من أسف إذ ترى ان الملك تبدو عليه الطيبة ، وصلابة القوية ! فلو كانت تبدو عليه سمة الخبث والشر لاستمرأت قتله ، وهي في رأيها أكثر مما هي الآن .

كانت مدام انطوانيت ، تواظب على الحضور كل أسبوع ، لاحضار الملابس بعد تنظيفها ، الى سجن المعبد .. حيث الأسرة الملكية .. وكانت وهي تؤدي مهمتها هذه تمثل العاملة المجدة المتأنقة .

وكانت دهشتها تتزايد ، وهي ترى تلك المفاجأة المألوفة في كل أسرة ، ترى أمامها ضد

رتها لسجن المعبد كل أسبوع . . فاذا هي ليست غريبة كما كانت تتوهم .

وها هي ذي تدخل برمّاً، فترى ملك فرنسا وقد وقف بالقرب من النافذة، يتأمل الشمس ي تميل الى المغيب . وشعر الملك بدخول منظفة الملابس ، فالتفت إليها مبتسماً كأنه عب بها . . حتى لقد شعرت مدام باريون ، بهاجتها الى البكاء . ترى ما هو السبب في هذا شعال ؟ قد يكون الملك ، بهندامه القديم النظيم وجسمه النليظ ، قد ذكرها بزوجها ورفي !

وأحست منظفة الملابس ، أن نفسها قد انقبض بشكل غريب ، واستولى عليها الحزن سيق ، يوم ان صعد لويس السادس عشر إلى المقصلة .

تغيرت آراء مدام باريون ، فالملك لم يكن بالرجل الشرير ! ولكن المتنفذين حوله أشاروا به بكل ما هو خطأ . . ولولا ذلك لكان يشبه على أحسن ما يكون . ثم زوجته ، ه النمسوية الملعونة . . التي كانت السبب الأقوى فيما حلّ به . إنها لم تكن تحب الملك جها . وهي حقيقة لا يجهلها أحد !

كانوا قد فرّقوا بين ماري انطوانيت وبين طفليها ، بعد إعدام الملك . فنقلوها الى سجن كونسيرجيري ، حتى لا تفكر في الهرب . . . ويوم أن أرجعت مدام باريون ، الى سجن لكة . بعد هذه الحوادث ، وجدت أمامها امرأة سكينة . تلبس الثياب السود . يدة في سجن مظلم . دخلت منظفة الملابس وكانت ماري انطوانيت ، جالسة إذ ذاك منضدة عتيقة وقد استندت اليها بمرفقيها . ووضعت رأسها بين يديها . ولم ترَ مدام رون ، وجه الملكة ، فقد كان مختفياً وراء يديها النحيلتين . وظهر حول منكبيها الأبيضين شة ، شعرها الذي أصبح ناصع البياض ، بعد موت الملك . . . وعندما دخلت منظفة لابس ، لم تأت الملكة بأقل حركة . ففهمت مدام باريون ، أن ماري انطوانيت ، تبكي وراء يها المتحجرتين . وشعرت منظفة الملابس ، بنوع من الاحترام ، نحو هذه المرأة الحزينة فهم سرّه . فانسحبت عنه هادئة وهي تمشي على أطراف قدميها .

وظلت مدام باريون ، في خدمة الملكة . وكانت تعرف أن الواجب على من يشتغلون من جناد ، ألاّ يتكلموا معهم وإلاّ . . .

لقد كانت فصيلة باريون ... عمل في مدينة الوحشية ، وساءلت نفسها ، أيجوز لهم الشرع ، أن يفرّقوا بين الأم وولدها ! ... كانت هي من اجترؤوا عليها بهذه الصفة . إذن لأثبتت لهم أطافرها ، ثم أستلبها .

كانت مدام باريون ، تسير ولدها أينما ذهبت . حتى إلى سجن الكونسيير جيري فقد كانت شوارع باريس في تلك الآونة ، تسودها الاضطرابات . والقوم يردّدون أنشودة الكرمانيول ، فيرتفع طنين الثورة عالياً .

كانوا أول الأمر يحجزون ابن مدام باريون ، عند بوابة السجن ، ولكنهم تركوه أخيراً يدخل مع أمه ، عاملاً لها سلة الملابس .

وارتعدت الملكة ، يوم أن رأت ابن مغلفة الملابس ، فغر عليها الألم . ولكنها ما لبثت أن افترت عن الطفل ، وبسمت على شعره بيدها المرتعشة . كان طفلاً لطيفاً جميلاً . تتجلى النباهة في نظرات عينيه الزرقاوين . لقد لفتوه الدوس ، وحذّروه أن يتكلم مع السيدة ذات الثوب الأسود — الملكة — ولكن ليس في استطاعتهم أن يمنعوه النظر إليها ! . نظر إليها دون خجل ، ولكن برهبة . وكذلك لم يستطيعوا أن يحرّموا عليه الابتسام . فابتسم للملكة . فكان ردها على نظرات الطفل وابتسامته ، أن انعطفت نحوه تقبّل شعره الأشقر ! ...

واضطربت مغلفة الملابس ، عندما رأت الملكة تتبعها بنظراتها ، وهي تخرج صحبة ولدها . كانت ماري انطوانيت ، تنظر الى هذه المرأة الشعبية ، وهي ترحل عنها ممسكة بيد ولدها . ولا ريب أنها أحست بتيه من الحسرة .

وأتت مدام باريون ، مع ولدها ، الى سجن الملكة كالسادة . وكان أحد الجنود من حرّاس السجن ، قد داخله الشك في أمر الطفل ، فمنعه من الدخول . ولكن بخشونة وقسوة ، حتى جعله يقع فيصطدم بجبهته في زاوية مقعد من المقاعد الخشبية الغليظة . فصرخت الملكة ، كما صرخت مدام باريون نفس صرختها . ثم اندفعتا نحو الطفل بقوة واحدة ولكن الملكة كانت أسبق . فأنهضته ، وانتزعت من كومة الملابس القريبة منها ، منديلاً حملته على جبهة الطفل ، وكانت تنظر دماً . ثم ضمته الى صدرها وأخذت تربت على ظهره ، تحاول بذلك أن

تلطف عند الألم ، وتشرق المرأتان أنّ فيها الى أخرى من وراء رأس الطفل ، تشراق صبية تتكلم من ظلم الانسان ، ومسه بعض شعرها وكأنهما قد ارتبطتا برباط أبدي متين

من ذلك اليوم ، وقد منعوا الملك أن يدخل مع أمه حجرة الملكة ، كما أصبحت منطقة الملابس والملكة ، ولها لغة خاصة تتفاهمان بها . تلك هي لغة العيون . تسألها الملكة بأن ترفع حاجبيها نظرة إليها في قلق وخوف . وهذا معناه : « كيف حاله ؟ » تقرد عليها مدام باريون ، بأن تخفض عينيها في حركة سريعة ، بعد أن تنظر إليها نظرة يظهر فيها الاطمئنان . أي : « أنه بخير » .

وأنت أخيراً ، مدام باريون . [illegible] سير جيري وحيدة ، فقد كان ولدها مريضاً . وقالت للحارس بصوت بين العالي والمنخفض ، حتى يكون مسموعاً من الملكة : لقد مات وحدي ، فولدي مريض !

كان مفروضاً على الملكة ، أن تعلم أخيراً ، ولم تكن قد علمت هذا الأمر مطلقاً . إلا أنها سألت مدام باريون ، بصوت كانت هذا فيه التلق : « هل بعثوا بطبيب يعتني الطفل ؟ » وأحست مدام باريون ، بالخوف يدوب تأثراً وكمداً . وأشارت لها بالنفي !

* * *

كانت مدام باريون ، تجلس بالقرب من سرير ولدها . وقد أصبح لا يغادر الفراش . فتأخذ يديه المحمومتين بين يديها ، وهي تفكر في سؤال الملكة . وحنانها واهتمامها بالطفل ! وتأكدت مدام باريون ، ان جميع الأمهات لهن شعور واحد . ويعرفن كيف يتفاهمن فيما بينهن . بما في ذلك الملكات . ثم تألمت وهي تعض على شفتها : « لماذا يريدون انتزاع هذه المرأة ؟ » .

أجل ، إن جميع الأمهات يتكلمن لغة التفاهم سوياً . فعندما ارتدت مدام باريون ، ثوب الحداد لموت ولدها وأنت بعد ذلك للعمل ، الى سجن الكونسيرجيري . وكان الحزن قد أسقمها . وبدا على وجهها [illegible] ، وتفرحت أجفانها من البكاء . فما أن دخلت الى حجرة الملكة ، حتى وكفت عن البكاء في صمت ، وأخذت في الحزن . وكانت دموع

انطوانيت تركت أمام سلته للملابس ، والدموع تسيل حارة فوق خديها !

ولما أن صعدت من انطوانيت ، الى المنصة . جلست مدام باريون تنسها في مرضها ، وهي في أشد الآلام نفسانية . ومكنت في حولها بعض الوقت . ولكنها عدلت عن ذلك . لئلا تثيره اليها ظنون الجيران . ثم يجب ألا تتجه اليها الشكوك . وذلك من أجل الطفل ، الذي سجن المعبد — الذي وكل اليها أخيراً أمر العناية بملابسه . دون اخته الطفلة التي لا تدري عنها شيئاً — ذلك الطفل الذي يعيش في وحدة وبؤس . وقد خيل اليها وهي المرأة الذكية ، أن عليها واجب حمايته بطريقة خفية !

كيف استطاعت هذه امرأة ، أن تجعل أولئك القوم ، المرضى بحب التجسس ، يتركونها تداوم الذهاب الى سجن الطفل ، دون أن يشكوا بها أو يلتفتوا اليها ! ذلك انهم رأوا فيها امرأة سعلية ، قد استبدت بها الحزن فوق طاقتها . فهي تحب العزلة ، ولا تحب أن تتكلم أو تنظر الى أحد ! ولكنها ترى وتسمع كل شيء ، ولا تفوتها كلمة أو اشارة تتوهم انها قد تمس حياة الطفل .

* * *

ولاحظت مدام باريون أن قلبها ينوب أسىً وحزناً . إن الطفل المسجون قد أصبح نحيلاً وزاد شحوبه . كما انه كان يجلس مطأطىء الرأس فوق سريره الصغير . لا يتحرك وقد تدلت ساقاه . وكأنما هو غريق في لجة من الحزن ! وكان بالقرب منه بعض اللعب . ولكنها قديمة ألفها من زمن بعيد . كما أحزنها أنه أصبح قليل الكلام . غير أنها سمعته يوماً يتكلم . كان يتكلم متأوهاً . وكأنما يخاطب نفسه . ذاكراً « نويل » وحدائها في الأيام الخالية . ثم توسل اليه أن يهديه كتاباً مصوراً ! لقد وصل أن سمع المسكين أن عيد الميلاد آت بعد قليل !

لقد أقبل نويل ! انهم قطعوا الرقاب ، وغيروا الأوضاع . ولكن ليس في مقدورهم أن يمنعوا سفار الأطفال ، أن ينتظروا مجيء الطفل يسوع عند المذاة !

كانت مدام باريون ، قد احتفظت بلعب ولدها بعد وفاته ، كتذكرة للذكرى . وكان منها كتاب مصور

لم يتوصل أي انسان ، الى معرفة ما هي الطريقة التي أمكن بها لمدام باريون أن تدخل في ساعة متأخرة من ليلة عيد ميلاد المسيح ، الى حجرة ولي العهد الصغير ، وأن تضع حذاءه الصغير في المدخنة سرًا ، قبل أن ينام . فاذا أصبح الصباح ، وجد الطفل ، كتاب الصور فوق حذائه . أما منطقة الملابس ، فقد قبض عليها .

لم يكتشفوا شيئًا في الكتاب ، يوجب الريبة . ولكن حوكمت مدام باريون ، أمام محكمة الثورة ، وحكمت بادانتها ، بدعوى انها ارتكبت والطفل سجين المعبد ، جريمة « التواطؤ السري » ولأنها خانت « ثقة الشعب » وعلى ذلك ، فقد حكم عليها بالاعدام . وأما مدام باريون من نفسها ، فانها كانت تعلم أنهم سوف لا يدركون معنى ما تريد أن تقول ، دفاعًا عن نفسها ، ولم تكن كذلك ، تشعر بالخوف من الموت ، أو بالأسف على الحياة . ولكنها أصبحت ثقيلة النفس ، حزينة الفؤاد إنها ستترك الطفل السجين ، وحيدًا في هذه الحياة ! ...

وعندما قادوا مدام باريون ، الى السجن المعد لها ، سألت الجندي الذي كان يقودها من أحد الدهاليز الموصلة الى حجرتها : « بربك يا سيدي : ماذا قال الطفل عندما وجد كتاب الصور ؟ » ولم يكن ذلك الجندي شريرًا قاسيًا كما كان الآخرون . فأشفقت الشفقة من أجل تلك المسكينة . وقال لها بصوت خافت ، وهو يرفع كتفيه : تسألين ماذا قال ! لقد فعل ما تفعله جميع الأطفال : صفق بيديه طربًا . وصاح قائلاً : « ها قد فكر في نوبل انريل أن الي ! فانهم لم يتمكنوا من أن ينسوه مني أبدًا » . فابتسمت المرأة الشقية ، وفاض على وجهها البشر والسرور . ثم قالت بعد أن فكرت قليلاً : « إنه ليس بالشيء الكثير ، إذا أنا ضحيت بحياتي في سبيل أن أبعث الفرح في قلب طفل صغير مسكين مثله الجميع »

* * *

وها هي ذي تلك المرأة الحقيرة الشأن ، ترتفع بشخصيتها عنهم ، وهي ذاهبة الى أعلى الرتب العظيمة . فتأخذ مكانها بجانب من فاقوها بأشرف التضحيات وأنبلها

ثروت حسن

عارفة الليل

على محزونك النشوان سرٌّ معلنٌ مكتومْ
لحونٌ في معانيها أماني عاشق محرومْ
تناجي الليل والشطآن والبدر على الماء
فيهمي الطلُّ مدراراً ، ويجري النغمُ المصومْ

* * *

وفي معزوفك النشوان قلبي إذ يناديكِ
إلامَ الدل يا روحي وسري بين أيديكِ ؟
سجا الكونُ ، ونامَ الليلُ في خِدْرٍ ولألاء
وهيه الآنَ يستوحي أغاني الشوقِ من فيكِ

* * *

ليالي الصيف هل تنسى مع الأمس أغانيها ؟
وهل لا ترفعُ الكفُّ لتجني من دواليها ؟
وهل لا تملأ الكأس على النجم بصهباء ...
إذا ما دنت الحسناءُ والصهباء في فيها ؟

دنا الموعدُ ، والأنغام يا حسناءُ تدعونا
وهذا العمرُ ساعاتٌ لمن يطويه مفتونا
تعالي نقطع الليلة في سكرٍ وافتناء
ونحيا في تفاهاتٍ كما يحيا المجونا

* * *

لمن هذا الندى المكبوبُ فوق العشبِ والزهرِ ؟
لمن هذا الشراعُ الحالمُ الساري على النهرِ ؟
لمن هذا الجوى المكتومُ كالنارِ بأحشائي ؟
تعالي نترك العمرَ لا يشكر على الدهرِ .

* * *

هي الليلةُ يا روعي ... ونسياها اذا شئتِ
ونسي كيف نسياها إذا ما شئتُ وافتكرتِ
هي الحلمُ الذي يختالُ في سحرٍ واغراءِ
إذا ضاعتْ .. تُنى قلبكِ الولهانَ لو جئتِ !

القاهرة يوسف جبرا

المناعة والتلقيح

يراد بالمناعة ما يملكه الجسم الحيواني أو البشري من القدرة على مقاومة العوامل المرضية بنجاح كافٍ بحيث لا يشعر الشخص أو الحيوان الذي يقال أنه ملقّح بشيء ما ، أو أنه يشعر فقط ببعض اضطرابات خفيفة وقتية — في حين أن الشخص غير الملقح يبقى معرضاً لاصابات خطيرة بل مميتة .

والمناعة لها من التأثير في حياتنا الصحية ما لا يقدّره الدكتوروز من حق قدره . كيف لا وهي تلك القوة الحيوية الكامنة في أجسادنا التي تمنع دخول معدي الأمراض الوبائية أو السارية ، فتقاوم هذه الأمراض وتعيد الى الجسم حالته الطبيعية . بل هي التي تصد هجمات الجراثيم الفتاكة التي تترقب الفرص السانحة وفترات الضعف فينا لتهاجمنا وتتغلب علينا . ألا ترى حياتنا في نضال دائم ودفع مستمر لصد غارات تلك الأمراض وما توجهه هذه البنا من سهام قاتلة قوامها حيوانات مجهرية وميكروبات قاتلة وبعوض متنوّع وماء ملوّث وطعام ضار وحراثيم فاسد وعادات ذميمة . وكلها أعداء لا يستهان بها تحاول أن تصلينا حرباً سواءً وتفتك بنا ، فكيف تتقي أذاها إن لم تكن فينا مناعة قوية وجسم صحيح مقاوم ؟ بل كيف تحذر فواتكها وعداوتها إن لم تكن في دمائنا وسوائل جسمنا كريات دم دفاعية سليمة لتحيط بذلك العدو الداخلي وتقضي عليه في مهده ؟

والمناعة نوعان : طبيعية واكتسابية ، فالأولى منهما تكون موروثة ، والثانية مكتسبة في أثناء الحياة .

١ — المناعة الطبيعية : هي التي تنتقل إلينا بالارث الطبيعي من الأبوين والجدّين : ككريات دم دفاعية ، وغدد افراز سليمة ، وأعضاء داخلية صحيحة وأوردة دمويه مرنة وبنية متينة . وما المقاومة التي يبديها الانسان أو بعض العوامل المرضية إلاّ برهان على وجود مناعة طبيعية عنده . وهذه المناعة إما أن تتناول جميع طبقات الحيوانات أو تنحصر

على بعض منها . ثم انها تتساوى في بعض الشروط بمناعة ولا أشكال من نفس النوع . ونأخذ مثلا ان هناك امراضا كثيرة التي لا تثار بارطام virus إلا نادراً — يمكن الخيل ان تصاب بمثل المرض بصورة كلية . وبنفس الصورة أيضاً تصاب الكلاب بالجدرة الطبيعية ، والدجاج بالكوليرا .

اما في باثولوجيا الانسان فالنوع مثلاً يكون ذو أحساسية بكثير من البقر للاصابة بالملاريا والحمى الصفراء ، بينما السل والجدري يكونان بنوع خاص على النوع أنفسهم شديدي الوطأة . وهكذا فان من الطبيعة (الكوليرا) التي تصيب الاوربيين أحياناً ، فهؤلاء يكونون أكثر استعداداً وأسهل تأثراً بها من سكان الهند مثلاً .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ألا نرى دائماً بين السلالة البشرية الواحدة أشخاصاً ذوي مناعة شديدة أزاء بعض العوامل المرضية ؟ فكثيرا ما قد لاحظنا هذه المقاومة بعد انتشار الاوبئة الخطيرة كالغيضة والتيفوس والجدري وغيرها . ولنتصور مثلاً شخصان يشربان من ماء واحد ملوث بجراثيم المثنى التيفية ، فيصاب الواحد منهما ويسلم الآخر ، وما ذلك إلا لمناعته . وأشخاص آخرون يتمرنون من مجرى ماء ملوث أيضاً بجراثيم الغيضة ، فيصاب فريق منهم بها ويبقى الفريق الآخر سالماً من كل ضرر . وهكذا قل عن الأزلة الوبائية (الانفلونزا) التي إذا ما انتشرت يوماً في مدينة أو قرية ، أصيب بها بعض الناس وبقيا البعض الآخر نتيجة لمناعة اكتسبية عنده ، بعد ان الاصابة واحدة والتعرض لمصدر واحد . وكم من مرض اشتد عليه الداء وكاد يوردهُ موارد الهلاك ثم لم يلبث أن زال هذا الخطر عنه لقوة مناعته ! وكم من مريض أيضاً أصابه ما أصاب الاول وبذل نفس الدواء أمامه فهو يقاومهم ويصارعهم ، بينما ذاك فقد وقعت سلاحهم بالنفس وقضى المصاب فيه لضعف مناعته .

بيد ان هذه المناعة لا تكون بوجه عام مطلقة بل هي تتبدل دائماً بتقدم السن . فجسم الجنين مثلاً يأتي مجهزاً بمناعة ولا تزال معه فترة الطفولة ، ثم يكون أسهل تأثراً وقبولاً لكثير من الأمراض التي يقاومها عادة البالغون أو متوسطو السن . وليس هذا فحسب ، بل نرى أيضاً سلسلة من العوامل والاسباب الأخرى ، كالعوامل التي يكتسب أو تبدل بها درجة

الجسم واضعاف مناعته . كالبرد والجوع والتعب ، والاجهاد العقلي والجسمي ، وتردد الأمراض ، وعدم كفاية الهواء والنور والهواء ، والسكنى في الأماكن غير الصحية ، والتدخين ، والتسممات المزمنة (كالمورفين والكوكائين) ، وخاصة المشروبات الكحولية وأمراض التغذية (داء السكري مثلاً) : هذه الأسباب منفردة كانت أو مجتمعة ، تعمل بدورها على اضعاف المقاومة البدنية وتهيء الجسم لقبول الأمراض . ويساعد على ذلك : الرطوبة ، والنزلات المعوية المعوية ، وتعرض الجسم للهواء البارد بعد الحر ، والهموم والأحزان والخوف ولا سيما الخوف من الإمراض . .

٢ — المناعة المكتسبة : الجسم في هذا النوع من المناعة عليه أن يكوّن ويفرز بنفسه إفرازاً جديداً واقية ضد جراثيم الأمراض المتأكدة التي تدخل فيه ، والمواد المذكورة هي التي تكسب سوائله وخلاياه قوة ومناعة .

وهناك أيضاً المناعة الصناعية المعروفة منذ أبعد أزمنة التاريخ ، وقد استعملها أقدم الأطباء كأبقراط وغيره ، ويمكن اكتسابها بطرق خاصة لمقاومة كثير من الأمراض ، لا سيما السموم ، فكثير من الشعوب والقبائل المتوحشة ، ومنها قبائل أفريقيا الشرقية ، كانت ولا تزال تستعمل بعض الطرق لاكتساب مناعة نفسها مثلاً من تفعول سمّ العقارب أو سمّ الأفاعي ، ويقوم ذلك بتحضير خلاصة من السم بطرق معينة لزجة يُفرك بها سطح الجلد بعد شرطه شرطاً خفيفاً ، فيحدث إذ ذاك التهاب في هذا المكان يجد الشخص الملقّح نفسه من بعده في مأمن من عواقب لسعات هذه الحشرات القتالة .

أما في أيامنا هذه فيمكن للانسان كما هو معلوم أن يكتسب مناعة كافية ضد مختلف الأمراض السارية أو الحادة وذلك بوساطة التلقيح والحقن بمختلف الأمصال واللقاحات والتي منها خاصة المصل المضاد للخناق والكزاز والحمّى التيفية والكوليرا والطاعون والجدري وغيره . والجسم الملقح في مثل هذه الحالات يبتدىء بتكوين مواد مضادة لسموم هذه الأمراض ووقاية الجسم من جراثيمها

ولنفرض أننا لقحنا حيواناً لم يكتسب قبلاً أية مناعة صناعية — بكمية كافية من مصل صناعي يُحدث مناعة عنده ، وأننا مضينا بعد ذلك مقداراً من سموم جراثيم معينة

على بعض منها ، أو انها لا تتناول في بعض الظروف الخاصة إلا أشكالاً من نفس النوع . ولنأخذ مثلاً على ذلك الحيوانات المجترة التي لا تتأثر بالرعام Morve إلا نادراً — بعكس الخيل التي تصاب بهذا المرض بسهولة كلية . وبنفس السهولة أيضاً تصاب الكلاب بالجمرة الخبيثة ، والدجاج بالكوليرا .

اما في باثولوجيا الانسان فالزنوج مثلاً يكونون أقل حساسية بكثير من البيض للاصابة بالملاريا والحمى الصفراء ، بينما السل والجدري يكونان بنوع خاص على الزنوج أنفسهم شديدي الوطأة . وهكذا قل عن الطيفة (الكوليرا) التي تصيب الاوربيين أحياناً ، فهؤلاء يكونون أكثر استعداداً وأسهل تأثراً بها من سكان الهند مثلاً .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ألا نرى دائماً بين السلالة البشرية الواحدة أشخاصاً ذوو مقاومة شديدة أزاء بعض العوامل المرضية ؟ فكل منا قد لاحظ هذه المقاومة إزاء انتشار الأوبئة الخطيرة كالطيفة والتيفوس والجدري وغيرها . ولنتصور مثلاً شخصان يشربان من وعاء واحد ملوث بجراثيم الحمى التيفية ، فيصاب الواحد منهما ويسلم الآخر ، وما ذلك إلا لمناعته . وأشخاص آخرون يشربون من مجرى ماء ملوث أيضاً بجراثيم الطيفة ، فيصاب فريق منهم بها ويبقى الفريق الآخر سالماً من كل ضرر . وهكذا قل عن النزلة الوافدة (الانفلونزا) التي إذا ما تفشت يوماً في مدينة أو قرية ، أصيب بها بعض الناس ونجا البعض الآخر نتيجة المناعة الطبيعية عنده ، مع ان الاصابة واحدة والتعرض للعدوى بالداء واحد . وكم من مريض اشتد عليه الداء وكاد يرديه موارد الهلاك ثم لم يلبث ان زال هذا الخطر عنه لقوة مناعته ! بل كم من عليل أيضاً أصابه ما أصاب الأول وبذل نفس الأطباء أمامه جهودهم ومعارفهم ، ومع ذلك فقد باءت مساعيهم بالفشل وقضى المصاب نحبه لضعف مناعته .

بيد ان هذه المناعة لا تكون بوجه عام مطلقة بل هي تتبدل غالباً بتقدم السن . فجسم الحدث مثلاً بأنسجته التي لا تزال ضعيفة وفي دور النمو يكون أسهل تأثراً وقبولاً لكثير من الأمراض التي يقاومها عادة البالغون أو متوسطو السن . وليس هذا حسب ، بل توجد أيضاً سلسلة من العوامل والأسباب الأخرى ، المناوئة الأمراض التي يمكنها أن تبدل من مقاومة

الجسم واضعاف مناعته . فالغذاء غير الكافي ، والجوع والعطش ، والاجهاد العقلي والجسدي ، وتردد الأمراض ، وعدم كفاية اللباس والنور والهواء ، والسكن في الأماكن غير الصحية ، والتدخين ، والتسمم المزمنة (كالمورفين والكوكائين) ، وخاصة المشروبات الكحولية وأمراض التغذية (داء الكري مثلاً) : هذه الأسباب منفردة كانت أو مجتمعة ، تعمل بدورها على اضعاف المقاومة البدنية وتهيىء الجسم لقبول الأمراض . ويساعد على ذلك : الرطوبة ، والنزلات المعدية المعوية ، وتعرض الجسم الدفيء للبرد بعد الحر ، والهموم والاحزان والخوف ولا سيما الخوف من الأمراض . .

٢ — المناعة المكتسبة : الجسم في هذا النوع من المناعة عليه أن يكوّن ويفرز بشغله الخاص مواداً جديدة واقية ضد جراثيم الأمراض التي تدخل فيه ، والمواد المذكورة هي التي تكسب سوائله وديه قوة ومناعة .

وهنالك أيضاً المناعة الصناعية المعروفة منذ بعد أوسنة التاريخ ، وقد استعملها أقدم الأطباء كأبقراط وغيره ، ويمكن اكتسابها بطرق خاصة لمقاومة كثير من الأمراض ، لا سيما السموم ، فكثير من الشعوب والقبائل المتوحشة ، ومنها قبائل أفريقيا الشرقية ، كانت ولا تزال تستعمل بعض الطرق لاكتساب مناعة تقيها مثلاً من مفعول سمّ العقارب أو سمّ الأفاعي ، ويقوم ذلك بتحضير خلاصة من السم بشكل معينة لزجة يُفرك بها سطح الجلد بعد شرطه شرطاً خفيفاً ، فيحدث إذ ذاك التهاب في هذا المكان يجد الشخص الملقح نفسه من بعده في مأمن من عواقب لسعات هذه الحشرات القتالة .

أما في أيامنا هذه فيمكن للانسان كما هو معلوم أن يكتسب مناعة كافية ضد مختلف الأمراض السارية أو المعدية وذلك بوساطة التلقيح والحقن بمختلف الامصال واللقاحات والتي منها خاصة المصل المضاد للخناق والتيتانوس والحمّى التيفية والكوليرا والطاعون والجدري وغيره . والجسم الملقح في مثل هذه الحالات يبتدىء بتكوين مواد مضادة لسموم هذه الأمراض ووقاية الجسم من جراثيمها .

ولنفرض أننا لقحنا حيواناً لم يكتسب قبلاً أية مناعة صناعية — بكمية كافية من مصل صناعي يُحدث مناعة عنده ، وأننا حقنّاه بعد ذلك مقداراً من سموم جراثيم معينة

لويس باستور (١٨٢٢ — ١٨٩٥)

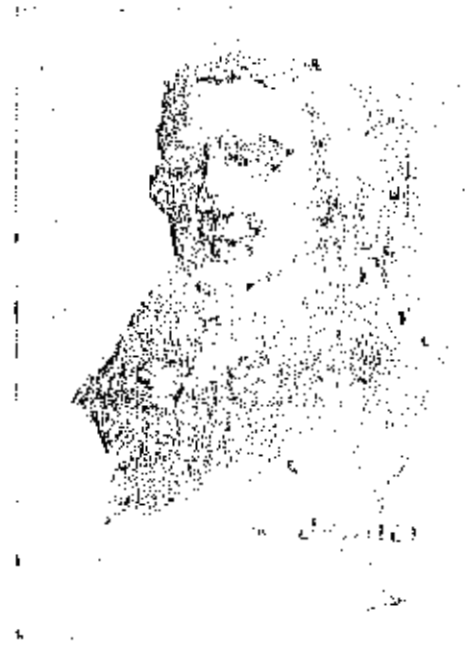

(١٨٢٣ -١٧٤٩)

فنلاحظ أن هذه السموم تفقد مفعولها كما لو كان الحيوان نفسه عنده مناعة فعلية Active ضد جراثيم المرض المحقون بها. فهذه المناعة المكتسبة بواسطة المصل تطول مدتها ما دام هذا المصل موجوداً في جسم الحيوان المحقون الذي أجرينا عليه الاختبار، لكنها تزول بوجه عام بعد مضي بضعة أيام لأن المصل الغريب المحقون يُفرز سريعاً من الجسم كما تفرز جميع المواد التي تدخل في التيار الدموي. فالجسم لم يتدخل والحالة هذه في تكوين المناعة المكتسبة من الحقن بالمادة الواقية المستعملة، بل تلقاها جاهزة لهذا الغرض، ويسمّى هذا النوع من المناعة بالمناعة الملقحة Passive

وقد اكتشف أيضاً العالم الألماني بورنغ Behring، وزميله الياباني كيتا ساتو Kitasato المضاد لمطير التتاي وهو أن المصل الدموي في الحيوانات الملقحة مناعيًّا تبطل سموم الخنّاق أو الكزاز بمفعول خواص غير موجودة في المصل الطبيعي. فاذا مزجنا جزءًا ضئيلاً من المصل المشار إليه مع مقدار مميت حتماً من تلك السموم، وحقنّا به حيوانات صحيحة سالمة، لا نرى هذه تصاب بأي مرض أو اضطراب — بينما الحيوانات الأخرى التي لم تتلقح تجاه تلك السموم، وحدها أو ممزوجة بالمصل الطبيعي، تموت فوراً. وهذا ما يؤيد لنا أن مصل الانسان أو الحيوان قد اكتسب بهذا التلقيح خاصة فريدة وهي شل مفعول السموم واكتساب خواص مضادة لها، وذلك بفضل وجود مواد خاصة تؤلف مع السموم نفسها امتزاجاً أو اختلاطاً لا ضرر منه أصلاً، ويُطلق على هذه المواد الخاصة اسم « المواد الترياقية » Antitoxine

مدة المناعة: يمكن اكتسابها: تختلف هذه المدة باختلاف الطريقة التي تكتسب بها المناعة. ففي الجدري والتريزية والسعال الديكي والحمى التيفية تكون مدة المناعة نحو أربع سنوات، وقد تمتد أحياناً الى سبع سنوات. أما الحيوانات التي تصاب بالطاعون البقري وذات الرئة والجمرة الخبيثة فانها تكتسب بالشفاء من هذه الأمراض مناعة تقيها أعواماً طويلة. وعلى نقيض ذلك نجد أمراضاً لا تكسب الانسان أية مناعة اذا شفي منها، مثال ذلك النزلة الوافدة والتهاب الرئة. وأخيراً توجد أنواع أخرى من الأمراض لا تترك عقبها عند المصاب سوى حساسية شديدة للعامل المرضي، ويدخل في هذه الحالة مثلاً: الخناق

(الدفتيريا) والغرة الزائدة والبنمونيا والحمرة . وما يجدر ذكره هنا هو أن درجة المناعة المكتسبة بالشفاء من هذه الأمراض لا تتناسب دائماً مع وحدة هذه الأمراض . وبعبارة أخرى نجد أن أخف الحالات المرضية وأبسطها قد تمر سريعاً أحياناً ودون أن نشعر بها ، ومع ذلك فهي قادرة على إكسابنا مناعة لا تقل عن التي نكتسبها من مرض شديد العدوى مصحوب بحمى عالية وأعراض عمومية ثقيلة

التلقيح ضد الجدري : ويقودنا هذا البحث الى ذكر كلمة عن التلقيح من الجدري . فهذا التلقيح قديم العهد جداً وكان معروفاً عند الصينيين منذ بداية القرن الحادي عشر إنما طريقة اجرائه التي كانت متبعة آنئذٍ في بلادهم ، كما في سيام أيضاً ، تختلف جوهرياً عما هي عليه اليوم . فقد كانوا يُدخلون قشور بثور الجدري في تجاويف الأنف عند الشخص المراد تلقيحه . أما في العجم فكانوا يدهنون خلوصاً مأخوذة عن سطح الجلد ويفركونها بقشور جدري مسحوقة . وهكذا نقل عن شعوب بلاد الشرق الأقصى التي كانت لها طرقاً خاصة لنفس الغرض

* * *

ولما كانت سنة ١٧٢١ أتت الى انكلترا سيدة انجليزية تدعى الليدي مونتاج Montagu كانت تقطن الاستانة في ذلك العهد وجلبت معها الى أوروبا الطريقة التي كانت متبعة آنئذٍ في اليونان والتي تقوم بتلقيح أصحاء الأبدان بمطعوم مأخوذ من أبدان مصابة بالداء اعتقاداً منهم أنهم لا يسلمون من الداء إلا بنفس الداء . والطريقة الآنف ذكرها كانت مستعملة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر وأكتسبت بذلك شهرة في الغرب ، لكن ممارستها لم تكن سهلة تامة ولا على أساس علمي واضح . وقد جعل الناس غير متأكدين من نجاحها ، ولذا أهمل شأنها كثيراً في أوائل القرن التاسع عشر فإذا جاء الطبيب الانكليزي المحامي المذكور ، ادوارد جنر Edward Jenner (١٧٤٩ - ١٨٢٣) يكتشف التلقيح الواقي ضد الجدري ، فتقوّض الأفكار القديمة المذكورة آنفاً وتحل محلها وتأسس في عقب .

ويقترن إسم الطبيب جنّر الذي يدين له العالم اليوم بكثير من الشكر باسمي الجرثومة

المهمة في تاريخ التلقيح ضد الجدري . فكثير من التلاميذ كانوا يعرفون أن المطعوم يقي الإصابة بداء الجدري . وقد اعتاد الناس في بلوخستان من أزمان طويلة على ارضاع أولادهم من أبقار مصابة بالجدري خطأ لهم من الاصابة بهذا المرض . غير أن الطبيب جنر كان أول من عمل على تحضير اللقاح واستعماله فنيًّا عام ١٧٩٨ ، بعد دروس متواصلة دامت عشرون عامًا ، فوضع بذلك الأسس المتينة الأولى لمعارفنا الحالية عن قوانين المناعة وتأسيسها .

* * *

ومما تقدم يتبين لنا أنه قبل مجيء ادوارد جنر كانوا يحاولون أن يكسبوا الجسم مناعة بواسطة مواد سامة جدًّا كثيراً ما كانت تؤدي الى الوفاة . غير أن جنر لم يكن يستعمل للتلقيح سوى السائل الموجود في البثور الجدرية ، وهذا السائل لا يسبب أبداً عند الانسان ضد جدرية خطيرة ، بل دمامل وبثور فقط في المكان الملقّح لا تلبث أن تشفى سريعاً دون إحداث اضطرابات هامة في الجسم لأن اللقاح المستعمل حسب طريقة جنر لا تحتفظ مادة سامة ، إنما مادة جدرية مخففة ، ويحدث هذا التخفيف في جسم البقرة نفسها التي هي أقل حساسية من الانسان للاصابة بالجدري

وقضية التلقيح ضد الجدري قد أصبحت معروفة جيداً في أيامنا هذه ، وتقوم كما لا يخفى باستعمال اللقاح البقري : فبعد تلقيح العجول يؤخذ السديد الذي يتجمع في البثور ويوضع في أنابيب معقمة ثم يستعمل عند الحاجة . وهذا اللقاح هو الأكثر استعمالاً في أيامنا هذه .

أما اللقاح البشري فيستخرج من السديد الذي يتولد في البثرة بعد تلقيح الانسان ، وهذا قليل الاستعمال لأنه ينقل أحياناً أمراضاً معدية قد تكون موجودة في الشخص المنقول منه اللقاح : كالداء الزهري مثلاً أو الملاريا الخ . ويقدر الباحثون أن عدد الحوادث التي تنجم اليوم من مضاعفات التلقيح ضد الجدري قليلة جدًّا : ٦٩ حادثة من ١٠٠٠٠٠ تلقيح ، وأغلبها خفيفة وثانية . أما من حيث الوفيات الخاصة من مضاعفات التلقيح نفسه فتقدر بـ ٤٠ فقط من مليون تلقيح ، وأن هذه كلها ناشئة بلا ريب عن إهمال

النظافة والتطهير ومن عدم تعطية المكان الملقح بضماد صغير يقيه من الأوساخ والعدوى الخارجية .

* * *

بقي أن نذكر كلمة أخرى عن داء الكلب والحقن الواقية والشافية منه . فالعلامة الفرنسي پاستور (١٨٢٢ — ١٨٩٥) وجد له حلاً مختلفاً . فقد أخذ النخاع الشوكي من حيوان توفي بهذا الداء للبحث فيه عن المادة السامة التي أدت الى وفاة هذا الحيوان . فوضع النخاع في زجاجة تحتوي في قعرها على البوتاسا الكاوية ، وهذه البوتاسا تجفف هواء الزجاجة باقتباسها بخار الماء ، ويجف النخاع أيضاً بهذه الطريقة ، فتضعف سميته تدريجيًّا بحيث تغدو بعد ١٢ — ١٤ يوماً معدومة ولا لها أي تأثير على احداث الكلب في الحيوانات المراد تلقيحها . ويبتدىء العلاج للانسان بحقن النخاع المشار اليه : أولاً من ذي الاربعة عشر يوماً ، ثم من ذي الثلاثة عشر يوماً ، فالثاني عشر فالحادي عشر الى أن نصل أخيراً الى النخاع الذي مضى عليه يومان فقط ، والعلاج الكامل يدوم نحو عشرين يوماً . ويجب تلقيح المصاب مرتين خلال الخمسة أيام الأولى ، أما في العشرة أيام الأخيرة التي تستعمل له فيها مخاطات شديدة الفاعلية فلا يعمل له خلالها سوى تلقيح واحد .

وقد استنبطوا أيضاً طرقاً أخرى لتخفيف سمية الداء بغية تلقيح المصابين به . فجربوا مثلاً استنبات جراثيم هذا الداء وتربيتها في معامل الاختبار ، في ظروف لا تنمو فيها الخواص البيولوجية لهذه الجراثيم ، وعلى الخصوص قدرتها المرضية واستعملوا أيضاً لهذا الغرض عوامل طبيعية وكيميائية مختلفة ، تخفيفاً لسميتها ، أو ابادة لهذه السموم ، وذلك تارة بالحرارة وأخرى باضافة بعض مواد معطهرة كالحامض الفنيكي مثلاً . وفي كل حال يكتفي في مثل هذه الحالة بأخذ المواد السامة المخفف مفعولها — تلك التي نمت من تربية الجراثيم المذكورة في معامل الاختبار ، وواضح أن أخطار التلقيح تكون أقل اذا استعملنا جراثيم مرضية ميتة في تلقيحاتنا اليومية .

بيروت — لبنان الدكتور عبده حسون

المهمة في تاريخ التلقيح ضد الجدري . فكثير من الفلاحين كانوا يعرفون أن البقر يقي الاصابة بداء الجدري . وقد اعتاد الناس في بلوخستان من أزمنة سحيقة أن يضاجع أطفالهم من أبقار مصابة بالجدري حفظاً لهم من الاصابة بهذا المرض . غير أن التلقيح بمعناه كان أول من عمل على تحضير اللقاح واستعماله فعلياً عام ١٧٩٨ ، بعد دروس متواصلة دامت عشرون عاماً ، فوضع بذلك الأسس المتينة الأولى لمعارفنا الحالية عن هذه المادة ونواميسها .

* * *

ومما تقدم يتبين لنا أنه قبل مجيء الدودة جنر كانوا يعالجون أن يحموا الجسم مناعياً بواسطة مواد سامة جداً أكثر مما كانت تؤدي إلى الوفاة . فجنر أول من كان يستعمل للتلقيح سوى السائل الموجود في البثور الجدرية ، وهذا السائل لا يسبب أبداً عند الانسان عدوى جدرية خطيرة ، بل دمامل وبثور فقط في المكان الملقح لا تلبث أن تشفى سريعاً دون إحداث اضطرابات دامة في الجسم لأن اللقاح المستعمل حسب طريقة جنر لا تتخطاه مادة سامة ، إنما مادة جدرية مخففة ، ويحدث هذا التخفيف في جسم البقرة نفسها أو هي أقل حساسية من الانسان للاصابة بالجدري

وقضية التلقيح ضد الجدري قد أصبحت معروفة جيداً في أيامنا هذه ، وتقريره لا يحتاج باستعمال اللقاح البقري : فبعد تلقيح العجول يؤخذ الصديد الذي يتجمع في البثور ويوضع في أنابيب معقمة ثم يستعمل عند الحاجة . وهذا اللقاح هو الأكثر استعمالاً في أيامنا هذه .

أما اللقاح البشري فيستخرج من الصديد الذي يترك في البثرة بعد تلقيح الانسان ، وهذا قليل الاستعمال لأنه ينقل أحياناً أمراضاً سمية قد تكون موجودة في الشخص المنقول منه اللقاح : كالداء الزهري مثلاً أو الملاريا الخ . وتقدر الاحصاءات في عدد الحوادث التي تنجم اليوم من معاملات التلقيح ضد الجدري قليلة جداً : ٦٦ حالة من ١٠٠٠٠٠٠ تلقيح ، وأغلبها خفيفة وقتية . أما من حيث الوفيات الحاصلة من مضاعفات التلقيح فتقدر بـ ٩ فقط من مليون طفل ملقح ، وأسباب هذه كلها ناشئة بالأكثر من اهمال

النظافة والتطهير ومن ثم تطهير المكان الملقح بضماد صغير يقيه من الأوساخ والعدوى الخارجية .

* * *

بقي أن نذكر كلمة أخرى عن داء الكلب والحقن الراقية والشافية منه . فالعالمة الفرنسي باستور (١٨٢٢ — ١٨٩٥) وجد له حلاً مختلفاً . فقد أخذ النخاع الشوكي من حيوان توفي بهذا الداء فبحث فيه عن المادة السامة التي أدت الى وفاة هذا الحيوان . فوضع النخاع في زجاجة تحتوي في قعرها على البوتاسا الكاوية ، وهذه البوتاسا تجفف هواء الزجاجة بامتصاصها بخار الماء ، ويجف النخاع أيضاً بهذه الطريقة ، فتضعف سميته تدريجيًّا بحيث تغدو بعد ١٢ — ١٤ يوماً معدومة ولا لها أي تأثير على احداث الكلب في الحيوانات المراد تلقيحها . ويبتدىء العلاج للانسان بحقن النخاع المشار اليه : أولاً من ذي الأربعة عشر يوماً ، ثم من ذي الثلاثة عشر يوماً ، فالثاني عشر فالحادي عشر الى أن نصل أخيراً الى النخاع الذي مضى عليه يومان فقط ، والعلاج الكامل يدوم نحو عشرين يوماً . ويجب تلقيح المصاب مرتين خلال الخمسة أيام الأولى ، أما في العشرة أيام الأخيرة التي تستعمل له فيها تلقيحات شديدة الفاعلية فلا يعمل له خلالها سوى تلقيح واحد .

وقد استنبطوا أيضاً طرقاً أخرى لتخفيف سمية الداء بقية تلقيح الحيوانات به . فجربوا مثلاً استنبات جراثيم هذا الداء وتربيتها في معامل الاختبار ، في ظروف لا تنمو فيها الجراثيم البيولوجية لهذه الجراثيم ، وعلى الأخص لقدرتها المرضية وتشاهدوا أيضاً لهذا الغرض عوامل طبيعية وكيميائية مختلفة ، تخفيفاً لسمتها ، أو ازالة لهذه السمية . فتلك لارة بالحرارة وأخرى باضافة بعض مواد مطهرة كالحامض التنيكي مثلاً . وفي كل حال يكتفي في مثل هذه الحالة بأخذ المواد السامة المخفف مفعولها — تلك التي تمت تربيتها الجراثيم المذكورة في معامل الاختبار ، وواضح أن أخطار التلقيح تكمن أولاً اذا استعملت الجراثيم مرضية ميتة في تلقيحاتنا البيوية .

بيروت — لبنان

الدكتور جبره مشبه

الساكن الجديد

يمكن أنه وقع في سالف الزمان حادث غير مألوف في حيّ عتيق من أحياء القاهرة . فقد نزل بذلك الحيّ رجل سريّ المظهر ، واختار لسكنه منزلاً قديماً متّصلاً بمنزل الحاج حسن الشربيني ، الشيخ العريق الحال .

وتجمع أناس من أهل الحي لمقهى زريّ ، وطفقوا يتساءلون عن السبب الذي دعا ذلك الغريب السريّ الى اختيار حيهم الفقير للإقامة فيه . وقال أحدهم بعد أن مدّ من طويلته نفساً طويلاً ، وأطلق دخانها في الهواء :

— يبدو لي أنه غير مصري .

فعقّب رفيق له يجلس الى جواره .

— ولِمَ ذلك ؟ .. ألأنه صبيح الوجه مشرقه ؟ . . هو العز الذي يضفي على صاحبه مثل هذا الرونق .

ورفع أحد الحاضرين فنجان القهوة عن فمه وقال .

— يخيّل إليّ أنه أمير .

وشرق مدّخن الطويلة بدخانها على أثر ضحكة انفجر بها ، وتساءل متهكماً بعد أن سكن هو والذين جاروه في القهقهة .

— أمير يقطن حيّنا ؟ !! .

وظهر الحاج الشربيني حينئذ على عتبة المقهى ، وقال وهو يضحك من أعماق صدر متأثرة في فمه المظلم .

— ولِمَ لا يقطن داوي أمير ؟ .. إنه صديق كبير خطير .

وتدافعت الأسئلة منهالة عليه من كل جانب .

— أقابلته ؟ ...

— ماذا قال لك ؟ ..

— وكيف عرفت أنه سنجق ؟ ؟ ...

— اصمتوا حتى يتسنى لنا الأمر .

— أتيحوا له فرصة للكلام .

وجلس الشيخ إلى جوار مدخن النرجيلة مزدوًا بنفسه . وقال بعد أن سكنت الجلبة .

— شاهدت لعيني شارة وظيفته مطبوعة على أوراقه ، وعلى أثاثه .

ألم تروا خادمه في ثوبه المرقش بالذهب ؟ ! انه من سناجق المماليك المرموقين .

فحاوره جليسه قائلاً :

— إذا كان الأمر كما تقول فلا بد من أن تكون دولته قد ذالت .

وقال آخر :

— لا بد من أنه فقد جاهه وماله .

فاحتج الحاج قائلاً :

— لا ، إن مظهره يدل على الغنى . ألم تروا خادمه في حلته الثمينة ؟ ألم تشاهدوا رياشه أثناء نقلها الى الدار ؟

ثم دس يده في جيبه ، وأخرج قبضة من النقود الذهبية وضعها على المائدة . وصاح وقد انفرج ثغره عن ابتسامة عريضة .

— انظروا ... لقد دفع لي قيمة الايجار عن الثلاثة الأشهر القادمة ...

هذا القصر المكون ! ! ...

مرت الأيام ، وتحول المنكرون الى مصدقين ، وانقلب استخفافهم بالسنجق الى إعجاب به ، وتغير بإقامته بين ظهرانيهم . وزاد هذا التبدل الذي طرأ على القوم زهو الحاج الشربيني واعتزازه بداره التي سرّنها ذلك العظيم باختيارها سكنًا له وتبدّل حال الحيّ فلم يعرف في مثل الركود الذي كان غارقًا فيه من قبل . بل تعددت المشاهد التي بهرت قطانه . كان بعض

فرسان يتصدرون على ظهور جيادهم المطبخة دار السنجق ، ويجيرق فيها ليالي الهو والطرب شملاً الأرجاء ألحان شجية تتخللها صيحاتهم وترنيماتهم .

وتناول خادم السنجق في ليلة تقيّب فيها مخدومه عن داره ، وتوجه الى ذلك المقرى الذي سبق ذكره ، وأخذ يحدث المجتمعين فيه عن جاه سيده العريض ، وسلطانه العتيد ، عن تواضعه على الرغم من ذلك الجاه والسلطان . ثم تطرّق الى ذكر ثرائه الواسع ، وأخذ يعدّ الجود الذي كثيراً ما أتى على ما عنده من مال قبل أن يرسل اليه ناظر مزرعته وليها مستوفي الوفير .

وتعددت زيارة الخادم للمقهى ، وبلغ مستفيزه في تقريره ، وبالغ مر في إحاطة غيبه مظاهر الوقار حتى بدا كأنه السنجق نفسه . وذات ذات ليلة لمالك الدار التي جاورت الخان الأكبر .

— لا بدّ لي من أن ألفت نظرك إلى أمور لا يعرفها مالك السنجق لا يزال ، ولكنه هو الذي يستدعي من يشاء الى داره متى يشاء ، والسنجق لا يطالب بمال ولكنه يغدق من ماله متى يشاء على من يشاء .

وكان صوت الخادم وهو يلقي عباراته رهيباً فلم يجز على بث الرهبة في قلوب مستمعيه

وانقضت الشهور الثلاثة على هذا المنوال . وحلّ دفع قيمة الايجار الجديد . ومشى الحاج نفسه بأن يدفعه السيد العظيم قبضة أخرى من القطع الذهبية . ولكن الأيام تعاقبت بعضها في إثر بعض دون أن تتحقق هذه الأمنية . وساور القلق ، ولكنه قلّ يتظاهر رفاقه من روّاد المقهى بالاطمئنان ، ويضع السنجق فوق كل مظنة . على أنه كان لا يملك من حطام الدنيا الاّ تلك الدار ، وليس له من مورد لرزقه ورزق أولاده الاّ ما تغلّه ، فلما زال انقطاع ذلك المورد عنه ساءت حاله ، وضعف وضعف أهل بيته الجميع ، وخاله يسير فلم يطق السكوت . وراح يقص على أولئك الرفاق ما يعاني من ضيق . فقال له مدخر الترجمانة ، وكان يمت اليه بصلة نسب .

وما الذي أسكتك الى الآن ؟ اذهب اليه ، واشك له سوء حالك فهو اذا ما وقف على حقيقة أمرك أعطاك فوق ما تطلب .

وتحاشت العبارات التالية من جوانب المتهى من التحامل .

— لعل السنجق لسيك ! فقيمة إيجاره ! فيه مما لا يخطر لمثله على بال

— اذهب اليه واطلب تقودك ، فهو لا يرضى بأرخاق فقير مثلك .

— لم لا اذهب اليه ؟ . . لا شك في أنه سيرحب بك ، ويطيب نفسك

ومز الحاج محمد رأسه متنهداً وغمغم .

— السنجق لا يزار ... السنجق لا يسأل بحال .

وأسقط في يد القوم ، فما وجدوا أن ليس في الأمر حيلة ، صارحوا صاحبهم التعس بأن ليس له في مثل هذه الحالة إلا الانصراف .

وكان خادم الأمير يتحاشى في تلك الأثناء المقهى . ولكنه توجه اليه أخيراً في ليلة حصبا القوم سعيدة الطالع ، وأخبر الحاج محمد بأن سيده تسلطب فأذن له بزيارته في الصباح التالي . وما كاد الرسول يعود أدراجه حتى ساح الشيخ متهللاً .

لقد كنت أتوقع ذلك ، والسنجق لا يهضم الحق كغيره من الناس ولا يستهين بأشرف استهانتهم به .

وتنفس القوم الصعداء ، وتباروا في تمجيد السيد الكبير والتحدث بمناقبه .

وأسرع الحاج في الصباح الى منزل السنجق ، فاستقبله هذا الأخير لحاشاً ، وابتدره بقوله .

— لعنة الله على ناظر مزرعتي ! ذلك الجهول الذي لم يرسل إليّ حتى الآن ما طلبت من مال . على أنه بعث إليّ منذ يومين بخطاب يدعو الى الطمأنينة . وأنا لن أكتفي حين وصول المال المنتظر بدفع الإيجار الذي تطلب خصمه ، ولكني سأضحك إيجار العام المقبل معاً .

وجلس الحاج في جليسه وقد برقت أسارير ، وانطربت أنفاسه . وواصل السيد كلامه بعد تردد قصير

— وبما أن نقودي قد نفدت ، فأعطني سبع خمسين جنيهاً على أن أرده إليك مع المبالغ الأخرى .

ودار المكن بالحاج ، وأظلمت الدنيا في عينيه . وحاول أن يذكر السنجق الذي رقة

ماله ، وجزع عياله ، وقضاه أياماً طوالاً لم تنبع عينه فيها على قضاء ... ولكن الكلمات مضرجة في حلته الذي جف ويبس ... ولم يعد الى رشده إلا على صوت الخادم الذي طرق بابه وهو يقول له في ...

— ماذا دهاك ؟ ... ألم يعطك سيدي ما تسأل ؟

فأجاب فاغراً فاه :

— لا ياسيدي ، بل طلب مني خمسين جنيهاً ... أنا القمر لا يملك خمسة قروش .

وصاح الخادم وهو يبدي دهشته :

— أتطلب منك هذا المبلغ حقاً ؟ ... أتراه لك على هذا الفرش الكريم ؟

فتمتم الحاج في مرارة :

— ولكني لا أملك شيئاً . ألا تفهم معنى قولي ؟ ... أنا لا أملك شيئاً .

ورفع الخادم رأسه ، وحدج الحاج بنظرة صارمة ، وقال :

— طلب السنجق أمر واجب الطاعة ، فلا تعصني لئلا ... أن أصنع به ...

واجتمع الحاج في المقهى بنسيبه وزملائه ، وأطلعهم على مصابهم ... بينه وبين كل من السنجق وخادمه . ولما رأى الزجر يسود الجمع ازداد انقباضه ، وأخرج منديله الأحمر العريض ، وأخذ يمسح به العرق المنصب من وجهه

وقال نسيبه ، بعد فترة سكوت .

— إن الله ذاته لا يكلف نفساً فوق وسعها .

وعدَّ بعض الحاضرين هذه العبارة تحدياً للسنجق فلم يتمالكوا الدهشة ، وصاح أحدهم :

— لا يجمل بنا أن نخذل سيداً كبير القدر في ضيقه

فردَّ الحاج محتدّاً .

— ولكننا لفي ضيقاً أشد من ضيقه .

وعقب نسيبه بقوله :

— من أراد منكم عزل السنجق ، فليعنه بماله لا بمال غيره .

فتعالت الصيحات من جوانب المقهى :

— لا يجمل بنا أن نفعله .
— لا بد من أن نتعاون على تلبية طلبه .
— هذا واجب لا مفر منه .
— أنا أدفع جنيهاً .
— وأنا أدفع جنيهين .

واشتطت الحماسة بين الحاضرين ، فجادوا بثمن قرنهم ، ولم يعد المنشد من جمع قديم المبلغ المطلوب . وجاء الخادم الى المقهى يستطلع أخبار الحاج ، فرجع مسرعاً سيده مرفوراً ، فحمله اليه راضي النفس مسروراً .

وتعاقبت الأيام دون أن تنفرج أزمة السجن فهي [illegible] أهل الحي في تدبير ضيق الحاج كما فرجوا ضيق مدينه ، الا إذا استطاع سيده الذي ذكره قرنه ، وسره نفسه حتى تدخين الفرجيلة ليوفر معاش الأسبوع .

وكانت الليالي تمر بالمقهى متعاقبة لا يجد فيها جديد . فالزهره التي تبعث مسالك النهر بعينها في كل ليلة ، والأحاديث التي تدور بينها لا تختلف ولا تتنوع . حتى أن فريسة محل ذلك المقهى في إحدى الليالي فاستثار فضول الحاضرين ، وكان جاء ليتابع سيدته من أهل الحي فلم يجدها ، ورأى أن ينتظر قدومها ، فانتحى ركناً من الأركان ، وانكفأ فيه . وعندما التوم يتحدثون عن السيد الكبير تفاقم غمار الحديث وسألوه :

— أهو طويل بدين مطاق ، وجهه أبيض ، وشعره أحمر ؟؟ .

فصاح الحاضرون :

— هو كذلك ... أتعرفه ؟

ولكنه ظل ساكتاً .

— أله خادم وسيم يلبس القصب ؟

فأشار برأسه :

— نعم هو بعينه .

وانهالوا عليه أسئلة :

— ماذا تعرف عنه ؟

— أهو سجين حقاً ؟

— أهو لص ؟

— حدثنا عنه يرحمك ...

وصمت الغريب حتى سكتت النسمة ، ثم طفق يقول :

— نعم ، كان سنجقاً واسع الثراء ، ولكنه لم يتوان عن تبديد [illegible] لاحق به الفقر بعد الغنى ، عجز عن احتمال ذلة الفاقة ، وراح يلتمس المال عند [illegible] من مسارفه القدماء ، فكان يقصد الواحد من هؤلاء فلا يرجع من عنده إلا [illegible] ، فنفد لم تعرف القاهرة أعظم منه ، وعاش على كرم أصدقائه عيشة لا تقل في مظاهر [illegible] عيشته أيام ثرائه .

ولكن كرم أصدقائه لم يلبث أن شارف نهايته ، فأخذ [illegible] به بمطالبه ، ويرمقون أبوابهم في وجهه فقصت موارد رزقه ثم نضبت ، وعجز عن [illegible] فطولب بمقاديره . وتناقلت الألسن أخباره التي سرعان ما وصلت الى خدم الفندق ، فأشفق هؤلاء عليه ، ورثقوا بحاله ، ورأوا أن يتعاونوا على تفريج كربته ، فجاد كل منهم من وسعه وجمعوا خمسين جنيهاً ، والتجأوا الى خادم السنجق ليرفعها الى سيده سنجق المعصرة ، لكن الخادم عاد بها إليهم ، وأفهمهم أن مخدومه لا يقبل منحة من الخدم ثم [illegible] فقالوا : فليقبل هبة تقل عن مائتين من الجنيهات .

وتبدّى جلاس المنعى فرحاً لدى سماع هذا القول ، وصاح [illegible] .

— ولكن السنجق كرّمنا فقبل منا هبتنا .

وصاح آخر .

— لقد رضي منا بخمسين جنيهاً فقط !! ..

وابتسم الزائر الغريب ثم أردف .

— لكن السنجق بعث برسوله بعد برهين الى خدم الفندق يفهمهم أنه رأى بعد التروي أن يقدر عاطفتهم النبيلة ويقبل هديتهم ....

وطأطأ القوم رؤوسهم ولم يجرؤ أحدهم على القطع برأي في أمر السنجق الى أن تعالى صوت من أحد الأركان يقول .

— يا لهم من سيد كريم نبيل !!

فهزّ القوم رؤوسهم مصدقين ، وهمهموا مؤيّدين ....

واستمسكت النسمة التي كان نسيب الحاج محمد يمانيها . فانه لم [illegible] على قوت عياله إلا بهن النعش . فما لبثت حتى كاد ينوء به [illegible] عن نفسه بانتقاص ثمن السنجق ، والنيل من سمعته ، ووصمه بخراب الذمة . وأخذ [illegible] الحاج الى المسألة بحق الاشتمال في ذلك . وقال له في عصر أحد الأيام [illegible] المقهى

— لماذا تهنئني في هذا الحد؟ أجهض حقك، وبقوتك وأهل بيتك وإلا جاءين، بينما ينفق هو المال على نفسه وطوره بغير حساب؟ ثم لا يكون جزاؤه منك إلا التبجيل والتكريم؟

فغار الحاج هنيهة. ثم رفع بصره إليه وقال:

— إن كنت أنت لا تخشاه فاذهب إليه وطالبه بحقي نيابة عني.

فهدّج الرجل حماسة وصاح.

ولِمَ لا أذهب إليه؟ أتحسب أنه سيسلخ جلدي؟ .. أو سيدقني حيًّا؟! ما هذه المسكنة التي ضربت على أهل هذا الحيّ؟!

وانتفض الحاج فجأة وهمس في أذن جليسه.

— أنظر ... ها هو ذا مقبل صوبنا.

وكان السنجق يسير الهوينا تحف به الهيبة والوقار. ووقف الرجلان حيرى إذ اقترب منهما. وانحنيا له حتى كاد رأساهما يلمسان الأرض

ولكن الجدل لم يلبث أن احتدم بين الرجلين ثانية، ثم أخذا يتبادلان الأمر في دورة على مختلف وجوهه حتى استقرّ رأيهما على أن يرفع الحاج عريضة الى السنجق يشرح فيها سوء الحال، وشدة حاجته الى المال.

وكتب لهما العريضة صديق من جلساء المقهى يكاد يرسم الحروف رسمًا، وبالغ في وصف بؤس الحاج، كما بالغ في الاشادة بشمائل السنجق وبعطفه على المعوزين ورحمته بهم.

وأرسل السنجق في طلب الحاج على أثر وصول العريضة اليه، وقال له حين مثل بين يديه

— أأنت فقير الى الحد الذي شرحته في استرحامك؟؟

فأجابه الحاج بصوت منهدج؟

— أولادي جياع يا سيدي الأمير.

فقال السنجق وهو يبتسم ابتسامة إشفاق:

— أنا رجل عادل وأرى أنه لا يجوز أن تحتمل هذا العبء وحدك. فعليك أن تجد لي مسكنًا آخر من منازل الحيّ خاليًا لأنتقل إليه، وأدع لك منزلك تستغله كما تشاء. وسأظل أتنقل بين مساكن الحيّ حتى ترد لي نقودي. لأن واجب كل مسكين أن يضحي كخير ما في سبيل السنجق ... هذا هو العدل التام.

وقام فحيّى الحاج وهو يبتسم ابتسامة دلت على رضاه التام عن نفسه.

كامل مصطفى الشرباصي

قرطبة

في عشية السبت الأول من أغسطس سنة ١٩٤٧ تركنا مدريد عاصمة أسبانيا بقصد قضاء عطلة أعيادنا وتزودنا لسفر طويل يزيد عن خمسمائة ميل لكي نصل الى قرطبة قرابة ظهر اليوم التالي . سرنا في أمان الله في طريق جبلي مرصوف كثير الالتواء والارتفاع والانحدار وقد أرسل القمر أشعته الفضية على ما يحيط بطريقنا من سفوح الجبال والهضاب والوديان فتنعكس في أبدع صورة وأجل ما حبته الطبيعة من مناظر زادها حسناً وبهاء تلألؤ الأضواء الكهربائية التي تربط المدن والقرى بعضها ببعض والتي كانت تلوح لنا من بعد على سفوح الجبال فتسر الناظرين إليها كأنها عقد من جمان نظمت فيه لآلىء منثورة بين المروج الخضر .

استمر الطريق كذلك ونحن نجتاز أنواعاً شتى من المناظر الطبيعية التي يندر وجودها في مكان آخر حتى انتصف الليل وغلبنا النوم الى شروق الشمس بعد أن قطعنا نحو ثلثي من نصف الطريق . وهنا تختلف المناظر الطبيعية من الصابئة قليلاً ، اذ تقل الارتفاعات وتقصر وقمة المزارع المستوية في أغلب الأحيان رغم ما يحيط بها من جبال كأنها مأهولة من أحواض قليلة الغور بعيدة الطاقة تختلف سعة بعضها عن بعض . وتنتشر فيها زراعة النبات الغذائية كالقمح والشعير والذرة والأرز على جانبي وديان الأنهار وفروعها التي تنحدر من سلاسل الجبال المنتشرة في الهضبة الأسبانية ، كما تكثر على مدرجاتها مغارس الكروم والزيتون والخروب وأنواع الفاكهة المختلفة كالتفاح والكمثرى وغيرها من الأشجار الدائمة الخضرة التي يشتهر بها حوض البحر المتوسط . وأهم ما لفت نظرنا كثرة مراعي الثيران البرية التي تربى خصيصاً للمصارعة .

وبينما نحن في مرحنا وسرورنا تتجاذب أطراف الحديث إذ لفت نظرنا من بعد شبح

أبنية أخذ يزداد عددها كلما قربنا منها فأخبرنا أحد موظفي وزارة الخارجية الأسبانية المرافقين لنا أنها أبنية قرطبة .

وبعد قليل وصلنا إليها وتمادت سيارتنا مارة بأحيائها الجديدة والقديمة تخترق شوارعها الضيقة الملتوية ، تكتنفها منازل عالية متلاصقة فتحجب عن الشوارع بعضها ضوء الشمس فتقل حرارتها جداً . ولذلك كان السير في هذه الشوارع القديمة مستحباً في أشهر الصيف عن السير في شوارع الأحياء الجديدة الواسعة . وتفتح أبواب المنازل في الأحياء القديمة الى ردهات صغيرة ملتوية لتحجب عن المار رؤية الداخل . وتؤدي منها الردهة الى فناء واسع مكشوف تحيط بأغلبها بوائك على عمد رشيقة يعلوها حجرات المنازل المطلة على الفناء . وقد غرست به أشجار الفاكهة وصفت على جوانبه أصص الرياحين والأزهار فيعبق الجو بالعطور الزكية من تلك الحجرات المنزل . وأهم ما يلفت نظر الزائر جدران الدخل والفناء فقد زينت بزليجات القيشاني البديعة الصنع الدقيقة الرسوم التي تسمى هذه المنازل كان معداً عند قدماء المصريين ، ثم انتقل الى أوربة على يد العرب ثم عن طريق الأمريكيين من حفائر آثار أسبانيا حيث انتشر بدوره خاصة في جنوبها وجنوبها الشرقي . وقد نزلنا بأحد تلك الدور الشرقية القديمة فقر سكن طابقه الأعلى وفيه أسرتنا قليلاً من هذا العناء ، وأتى لنا أن نستريح ونحن متلهفون لرؤية آثار هذه المدينة التي سجلت اسمها بأحرف من نور في سجل المجد فرطبة التي تفخر به هذه المدينة ، عاصمة الأندلس قلب الشرق العربي وبعد أن احتلها عبد الرحمن الداخل الأموي في سنة ٧٥٦ م جعلها عاصمة لدولته وظلت حتى اضمحلها فرديناند الثالث بعد أن ترك بها للمسلمين من المشروعات العمرانية المختلفة ما تشهد بعبقريتهم الفذة في أنواع الفنون المختلفة وتسجل في تاريخهم آثاراً خالدة في نوعها تدل على نهضة فياضة زاخرة .

فمن مشروعاتهم الجبارة اصلاح القناطر الرومانية سنة ١٠١ على نهر الوادي الكبير الذي يحد المدينة من الجنوب . وقد أقام هذه القناطر ليوصل قمح ماء الشرب عذباً وتنتهي من الطرف الشرقي بقلعة من بناء العرب لها برجان عظيمان .

وكان بقرطبة ثمانية مدارس للتدريس العلوم وتخريج العلماء ، وكان على رأس هذه المدارس مسجد قرطبة الأعظم الذي كان بمثابة جامعة اسلامية كالجامع الأزهر الآن

العصر الباطني . وكان يؤمه المسلمون في سفوح الأرض وتقريبا للحصول العلوم على أساتذتها المتفلنين .

وقد بلغ من تسامح العرب الديني عند استيلائهم على قرطبة ، أن اقتسموا الكنيسة بينهم وبين المسيحيين ليقيم كل منهم شعائره الدينية . فأقام المسلمون صلواتهم في النصف الجنوبي الشرقي المواجه للكعبة . وأقام المسيحيون صلواتهم في النصف الآخر . وظل الحال كذلك قرابة الثلاثين عاماً من حكم عبد الرحمن الأول حتى اعتلى الحكم العربي بقرطبة ، وزاد عدد المسلمين بها حتى ضاق بهم المسجد . فتفاوض الخليفة الأموي عبد الرحمن مع المسيحيين لشراء نصف الكنيسة الآخر ليضمه للمسجد لقاء مكافأة مالية كبيرة يمنحها المسلمون للمسيحيين لإقامة كنائس لهم خارج قرطبة حتى لا تتعطل شعائرهم . وقد كان في وسع خليفة المسلمين الاستيلاء على نصف الكنيسة الآخر دون أي مكافأة أو تعويض . فأين حرية الرأي الدينية اليوم من أمس

وقد تم الاتفاق بين الطرفين وأضيف النصف الثاني للمسجد عام ١٧٠ هـ . ويعرف هذا المسجد بمسجد عبد الرحمن الأول . وكان يتكون من بابه تقدمه أروقة الصلاة وعددها احد عشر رواقاً تفصلها عشرة صفوف من الأعمدة في كل صف احد عشر عموداً فيكون عدد الأعمدة جميعها مئة واحد عشر عموداً . ولما بناه المسجد عند هذا الحد بل أضيفت اليه ثلاث زيادات أخرى من الجنوب والشرق حتى بلغ عدد أعمدته ١٢٩٣ عموداً . وذلك لزيادة اقبال المسلمين على المسجد فأضاف عبد الرحمن الثاني عام ٨٠ هـ ثمانية أعمدة إلى كل صف من الصفوف العشرة السابقة في مسجد عبد الرحمن الأول .

وفي عهد الحكم عام ٣٥٥ امتدت صفوف الأعمدة من جهة القبلة عشرة أعمدة أخرى وجعل بها محراب جميل محيط به تربيعات القيشاني الجميل وحولها اطار من الكتابة الكوفية عليها تاريخ انشائه .

وقد استجاب المنصور عام ٣٧٦ لرغبة المصلين في إضافة زيادة ثالثة الى المسجد ولكنه لم يجعلها جنوباً كما فعل أسلافه ، بل أضاف زيادة الى المسجد من الجهة الشرقية . فأضاف تسعة أروقة بطول المسجد ليكون عدد أروقته النهائية تسعة عشر رواقاً . وقد منعه نهر الوادي الكبير من التوسع جنوباً كما منعه قصر الخلافة من الجهة الغربية .

وبذلك أصبح شكل الجامع مستطيلاً ، طوله من الشمال الى الجنوب ١٧٥ متراً وعرضه من الشرق الى الغرب ١٣٤ متراً . وظل المسجد بهذين الشكل بين عهد المنصور حتى غزا قرطبة فرديناند الثالث عام ١٢٣٦ ، فبقي به مسجداً صغيراً لمدة كنيسة كما بقي في زيادة

الحكم سعيد آخر قرطبي الطراز في نهاية القرن الخامس عشر وفي عام ١٦٠٧ تمّ انشاء كنيسة عتيقة في وسط المسجد .

ويشغل الصحن ثلث مساحة المسجد . ويحيط به من الشمال والشرق والغرب صف من الأعمدة والدعائم . وقد كان مقسماً الى ثلاثة أقسام زرعت فيه أشجار البرتقال حتى أطلق عليه هذا الاسم . أما الآن ففيه أشجار الصنوبر والنخيل وتروبه ثلاث نافورات شكل (٤)

ويبدو المسجد من الخارج كأنه قلعة محصنة بجدار عميك ارتفاعه عشرة أمتار وتضعف تتوجه شرفات مسننة ، وتبرز من الجدران دعائم ساندة لتزيد في قوة البناء وتتحمل ضغط العقود المتكئة عليها من الداخل . شكل (٥)

والمسجد تسعة عشر باباً أهمها المدخل الرئيسي في الجهة الشمالية ويقع في نهاية الطنف الذي يتعامد مع المحراب والعقد الكبير الذي يتوسط مسجد عبد الرحمن الأول . وواجهة هذا الباب من الرخام المنقوش بزخارف بديعة عربية (كالدنتلا) تتوسطه كتابة عربية برخط مشجر بقطع من النحاس بعضها مثمن الشكل ، والبعض الآخر مشرات صغيرة متعامدة حفرت عليها زخارف نباتية (أرابسك) . وقد أزال المسيحيون — عقب استيلائهم على قرطبة وتحويلهم المسجد الى كنيسة — بعض هذه الزخارف وحفروا بدلها صلباناً وشارات ملوك من الكاستيليين ١٣٣٧ .

وعلى يسار الداخل مئذنة شاهقة الارتفاع بناها عبد الرحمن الثالث الناصر عام ٩٣٠ بدلاً من برج الأجراس القديم . وقد بنى هذه المئذنة من الحجارة على نمط مئذنة الجامع الأموي بدمشق . وهي مربعة الشكل طول ضلعها ١٢ متراً وارتفاعها ٩٣ متراً وتتكوّن من خمسة طبقات وضع المسيحيون بها أجراساً عام ١٥٩٣ . وللمئذنة بابان يؤدي كل منهما الى درج مستقل عن الآخر ولا يتقابل الصاعد عليهما الاّ في قمة المئذنة .

يجتاز الانسان الفناء الى المسجد فيجد نفسه في غابة واسعة أشجارها من عيقة محبوكة من الأعمدة الرخامية المختلفة الأشكال والألوان . فمنها عمد ملساء ، وأخرى مقنطة ، وغيرها تحيط بها قنوات حلزونية وبلغ عددها ١٢٩٣ كما ذكرنا آنفاً ، جلب بعضها من ناربون الفرنسية ، والأخرى من أشبيلية أو تراجونا كما جلب البعض الآخر من خرائب قرطاجة المدينة الرومانية الى أن أحضر هذا الأمير الروماني ليبر الرابع تلك العمد من القسطنطينية .

ولما كانت مساحة المسجد كبيرة والأعمدة قصيرة الطول لا يزيد ارتفاع الواحد منها عن ثلاثة أمتار فقد أملت على البناء الاوتاد بسقف المسجد الى حد يتناسب مع مساحته

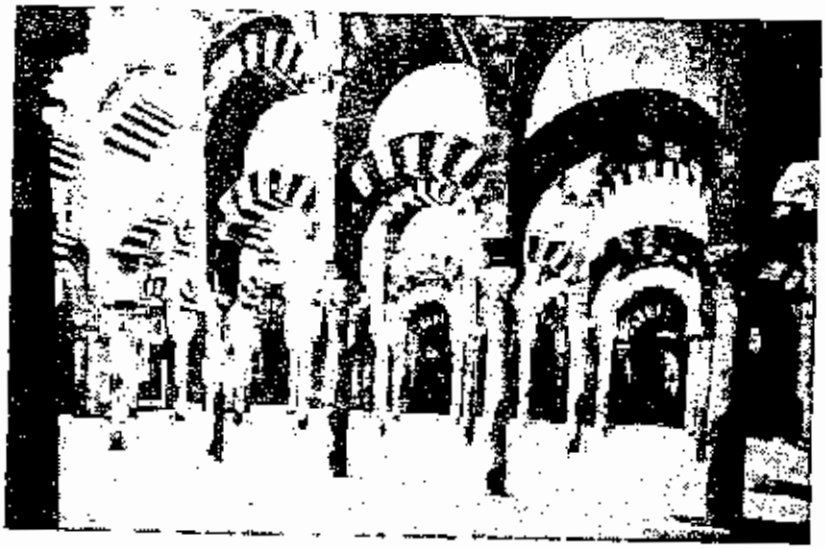

داخل المسجد بعمده وعقوده المزدوجة ذات الاون الابيض والأحمر

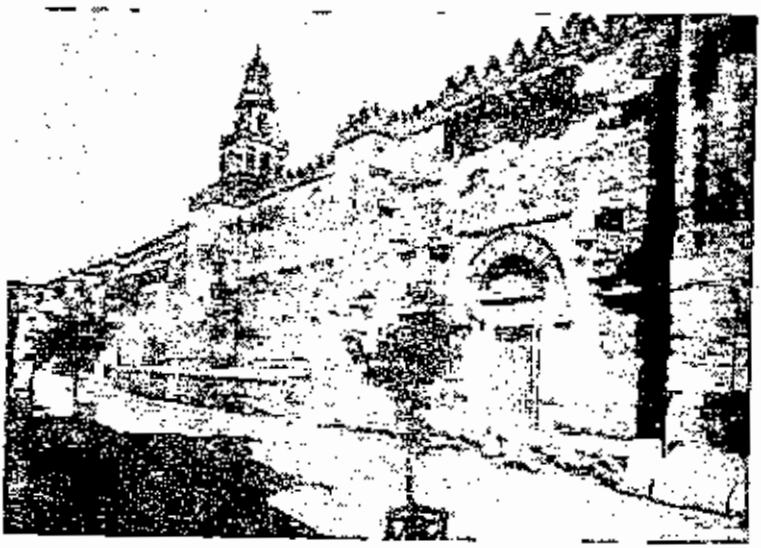

الجدار الغربي بشرفاته المسننة تبدو من ورائها المئذنة

شكل (٤)

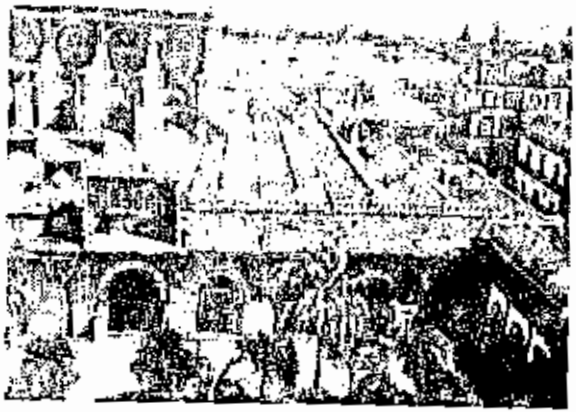

شكل (٥)

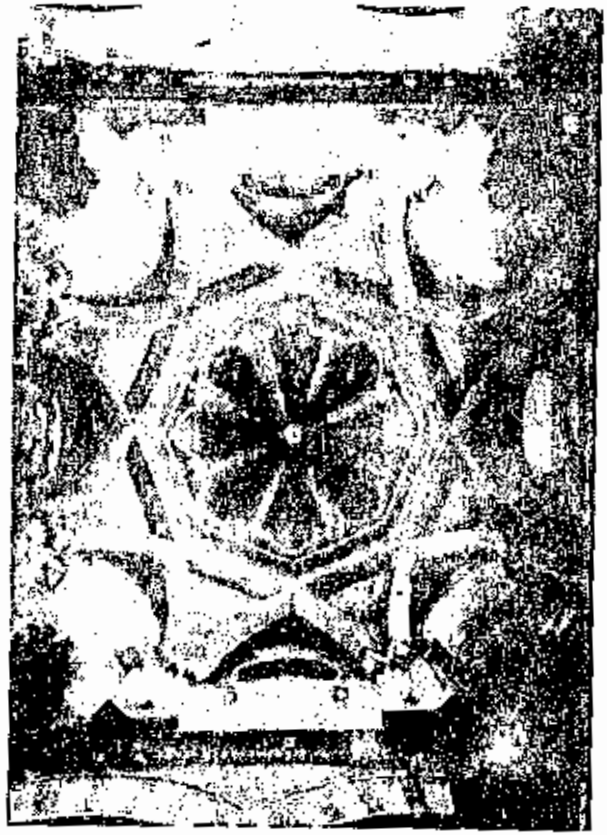

الأسباط التي كان يجاور المسجد من الخلف وقد نقل المسلمون هذه الفكرة من الصور لما كان الحال في مسجد الكوفة أيام علي رضي الله عنه. وفي مسجد عمرو بن العاص بمصر القديمة ثم انتقلت الى شمال أفريقيا في القيروان، ومنها الى أسبانيا حيث نشاهد هذه الفكرة في مسجد قرطبة. وكانت دار الطلاة تتصل بالمسجد مباشرة بواسطة ممرات مختلفة بقدر ما تسمح الشارع التي يحد جدار المسجد من هذه الجهة مع العلم ان مسجد قرطبة الآن محيط به شوارع أربعة من الجهات الأربعة.

وبالرغم من سعة هذا المسجد العظيم وكثرة عدد التي تربو على الألف فقد كان يضاء بثريات تبلغ ٤٧٠٠ ثرية من الفضة الخالصة. وكان بينها واحدة يزيد وزنها على ١٠٠٠ منا ولم يبق من هذه الثريات إلا ٤٠٠ حتى أواخر القرن ١٨ أخذها الفرنسيون معهم عند خروجهم من اسبانيا في زمن نابليون. وكانت هذه المصابيح تستنفد في كل سنة ٤٥٠٠ رطل من الزيت.

وكانت أضواء هذه الثريات تنعكس على السقف المذهب بفرشه العجيب فكانت تزيد المصلين تقوى عيونهم وتستميل قلوبهم. ولا يزال بعض هذا السقف باقيا في أرجاء المسجد إلا أن الأرجاء الأخرى قد بدل المعجبون بعض سقوفها بأقبية متقاطعة تحتى ورائها السقف الأصلي وذلك لاقامة عقود كنيستهم فجاءت غير متناسبة مع باقي سقف المسجد فأخذوا الآن في رفعها وإعادة باقي السقف الى ما كان عليه قبلاً. ومع ان هذا السقف مستتر من الداخل إلا أن شكله من الخارج يكون مثلثات قائمة متوازية (جالونات) كسقف المسجد الأقصى (شكل ٤). ولم يتخذ المسلم هذا الشكل اعتباطاً وإنما كان يرمي الى فكرة تعرف بما نسميه اليوم بتكييف الهواء. وكان الغرض من السقف الخارجي الآخر ان يقلل من اشعاع حرارة الشمس داخل المسجد فيلطف من درجته ويحفظ حرارته منتظمة كما يساعد من جهة أخرى على تصريف ماء المطر التي يسقط سقفه كما هو مبين بالشكل (د). وقد لاحظنا أن أرض المسجد قد طمرت الى علو نصف متر ليخفي ما تحتها من فصوص الرخام وتراكم العمد. وتعمل الحكومة الاسبانية الآن على رفعها واعادتها الى حالتها الأصلية كما تحافظ على باقي أرجاء المسجد.

ولا يسعنا إلا الفخر والاعجاب بعظمة المسجد الجامع وما حوى من روعة البناء ومختلف النقوش الاسلامية وما لا يتصور أي انسان في مسجد آخر في العالم الاسلامي وهو يحق الفرقة الثانية التي تتوج هامة الاثر الاسلامي باسبانيا في تاريخ العرب

محمد رجب البيومي
دبلوم في الآثار الاسلامية

الأخبار العلمية

تشارلس داروين في حداثته

بمناسبة مرور مئة وأربعين عاماً على مولده

كانت بريارة كوتواي تدعى إذ ذاك قرية في بريطانيا [illegible] والانجليز [illegible]

[illegible] مشيدة بالآجر الأحمر تظللها أشجار خضر [illegible] محيط بها حديقة فسيحة فيها كانت [illegible]

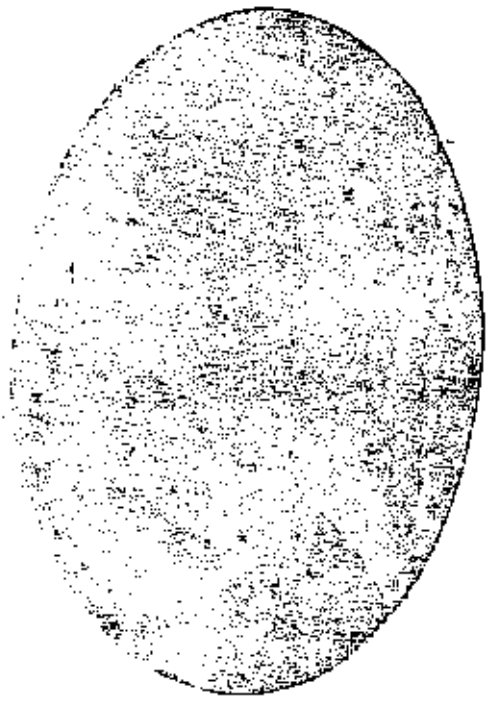

تشارلس داروين

البيت السعيد الذي [illegible] الدكتور داروين أحد علماء إنكلترة في [illegible] وفي [illegible] طاسة في السن تناهز ستين عاماً وكان تشارلس — وهو واحد من أبناء الدكتور داروين — في الثامنة من عمره لما فقدت أمه الخير الأخير. وقد ترك هذا الصبي في عام ١٨١٧ وتركت وديعة ترطا شقيقها الذي يكبرها سناً. وما كانا يعلمان أن أخا شقيقها الصغير سيغدو في المستقبل [illegible] والمحيرات [illegible] فكان أن [illegible] الاهتمام المبكر [illegible] بها ولا هما [illegible]

داروين Erasmus Darwin كثيراً من خلاله واستعداداته ، وكان هذا الجدّ معروفاً بأقوال الحكمة يرسلها على السجية . ومن مأثور قوله : « ما أحق الرجل الذي لا يتقدم في حياته على تجربة ما »

***

وكان لداروين خيال خصيب وكان من دأبه أن يفرغ الفرق منفرداً ويؤوب الى داره وفي جعبته أنباء وروايات مفعمة بالحيوية لمغامرات لا ريب في أنها ما حدثت. وكان الصبي يبدي حب استطلاع مقترن بالأناة عدا انه كان ذا طابع جذاب في ذاته يجلب له من الأصدقاء عدداً موفوراً أينما حلّ وحيثما استقرّ به النوى .

وكان أبوه — وهو طبيب ذو شهرة ذائعة — يؤثر أن يلقناً إبنه تشارلس رجل دين . بيد أن الصبي كان يبدي كل أعمن في الماء إعراضاً عن هذا الاتجاه ، وإذلالاً ظاهراً على اختراسه نفسه الكتب وإن كان مجرد التفكير في إجراء عمليات الجراحة في ذلك الأوان يثير اشمئزاز الصغير ، يلقى من تشارلس صدوداً ونفوراً .

وتلقى تشارلس دراسته في مدرسة البنين المشهورة في شروسبري ثم التحق بجامعة كمبردج وفيها تفتحت مواهبه العلمية وان كان متجهه في الطبيعة لما يتقرّر . فكثيراً ما رأى فيه أصدقاؤه وخلصاؤه إشارات توحي بأنه سيغدو كاتباً ورائداً [illegible] لم ير أن يكون هذا متصل [illegible] كان أولئك الصحاب يخصونه [illegible] أن تشارلس سيتوثق في ما بعد [illegible] من أقوى الكتب إثارة لنفس [illegible] على اهتمام الدوائر العلمية [illegible] العصر الفيكتوري ، وهما [illegible] طبع نبهما نظرية التطور [illegible] والارتقاء كما يؤثر البعض أن يسميها [illegible] الكتابين « منشأ الاجناس » [illegible] الانسان » . ويوم ظهر الكتابان [illegible] موضوعاً علمياً مخوفاً يثير [illegible] المخشية منه موضوع آخر هو [illegible] التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

ولم ينزل من تلو آرائه [illegible] المدينة إلا قلة قليلة من نظرائه [illegible] حتى الثمام .

***

ولما تمت السفينة « بيجل » [illegible] بسفرة إلى سواحل الضفة الجنوبية [illegible] صديق من أصدقاء تشارلس داروين [illegible] كمبردج هو العالم النباتي الاستاذ هنسلو [illegible] يقترح تشارلس بالبعثة باعتباره [illegible] وبعد مجادلات تردّد صداها وبرأي [illegible] تقرر أن يسافر تشارلس ، فكانت تلك الرحلة باعثاً على تنبيت اتجاهه في الحياة إذ جعلت منه عالماً له نهج علمي منتظم .

البحوث الذرية والطب

عقد في شيكاغو أخيراً مؤتمر للأطباء نظمته الجمعية الطبية الأميركية وكان من أبرز ما قرره هذا المؤتمر ان الطاقة الذرية صيغ استخدمت في القنابل من الآن استخداماً طيباً أو خير طيب فما لا ريب فيه ان طبيعة النواة (جمع نواة) ستفتح مجالاً مثمراً للتأمل في ممارسة الطبيب لمهنته

وتزعم بحوث هذا المؤتمر طائفة من الخبراء يمثل كل منهم منحىً مبتدأ من فروع الطب ذات الصلة بالطاقة الذرية ، ويشتركون مع الأطباء في بحث الآمال الكبيرة المعقودة على البحوث الطبية وعلى العلاجات والتشخيصات والتطبيقات التي تنطوي عليها طبيعة النواة . ولم يغفلوا كذلك بحث الناحية الجراحي والمعاوين في حالة [illegible] استنفاد سلاحه الذرة .

وقال الدكتور بول [illegible] صيدلية أركريدج في ولاية [illegible] مدير قسم النظائر [illegible] الذرية — إن أكثر من [illegible] ما شحن من النظائر من [illegible] يستخدم الآن في بحوث [illegible] بحوث التركيب العضوي [illegible] للانسان والحيوان .

وقال إن هذه البحوث [illegible] ٢٢٦ مؤسسة ممتازة للبحوث [illegible]

من المشكلات الطبية الرئيسية [illegible] صحة الانسان واصابته [illegible] الآن للبحث والفحص . [illegible] التي سيردها استعمالة الطفل [illegible] من البلتن ، وكيفية سير [illegible] في الأدمية وأنواع الاصابة [illegible] التداوي بأنواع الفلزات [illegible]

واستطرد قائلاً إن [illegible] النظائر في البحوث يجري [illegible] وربما أسفر في القريب [illegible]

وقال الدكتور شيلدن [illegible] يرمشن — وهو مدير قسم البيولوجيا والطب في لجنة الطاقة الذرية — عن استعمال النظائر المشعة ذات النشاط الاشعاعي [illegible] معالجة الأمراض أن عدداً [illegible] النظائر أمكن تبين فعله [illegible] المعدن يطرد زوجة

وقال إنه بسبب [illegible] أصبح [illegible] صيدلية ، يمكن [illegible] يوم واحد [illegible] من [illegible] الذرة [illegible] الطاقة الاشعاعية في [illegible] الغدة الدرقية ، واستخدم [illegible] في [illegible] حالات اللوكيميا ، والتضخم في حالات [illegible] أخرى تعد أمثلة على تطبيق تفاعل

بمستشفى [illegible] الخاصة بالزيتون .

وقد [illegible] الدكتور جوزيف الطبي مساعد [illegible] الطبي في جامعة كليفورنيا في مقال له كيف إن الشعاع ذات النشاط الاشعاعي يمكن استعمالها بسلامة وأمان اذا اتخذت [illegible] كثيرة من خبرة في تداول أشعة الراديوم وأشعة إكس .

وقال الأستاذ لويس ستروس عضو لجنة الطاقة الذرية إن استخدام الطاقة في أيام السلم يعد دليلا في الطب وإحالة له من علم الى نظريات عملية . ولعل هذا أمر خطير بسبب مخاوف الرأي العام من الطاقة الذرية وتقلبه عما اعترض عنه عند تسميتها للمرة الأولى في أثناء القنابل الذرية

واستطرد قائلا إن من المشكلات الأخرى التي تعترض هذا الأمر ، تلك الفحوص الشاملة التي تطلبها الحكومات والمصانع والجامعات والشركات الطبية وتتشبث بها . وقال إن من الصعب تصور تلك الطبقات جميعا تصارع بعضها البعض في معركة شاملة كمشكلة استخدام الطاقة الذرية في أيام السلم .

***

وقال الدكتور صمائويل [illegible] مدير مصلحة الصحة في جامعة كليفورنيا : لو عرف الطبيب مقدما عن استخدام الطاقة الذرية في أغراض التشخيص إن المسألة الذرية من شأنها أن تتطور تطورا خطيرا يتعرض لها كبار الطب اذا استخدمت استخداما سعاديا في الولايات المتحدة .

ووصف أنواع الاصابات التي تترتب على إلقاء قنبلة ذرية ومدى تلك الاصابات فقال : إن كل قنبلة يمكن استخدامها بإحكام تأتي على خمس وعشرين مدينة كبيرة في الولايات المتحدة . واستعان الدكتور وارين على تبيان قوله بصور فوتغرافية لتدمير اطراب والعمار الذين لحقا بمدينتي هيروشيما ونجازاكي اليابانيتين

***

وقال الدكتور صنفيش من ولاية ارنديانا — وقد عين رئيساً للجمعية الطبية الأميركية في هذا الاجتماع — إن أهل الولايات المتحدة يعيشون متمتعين بصحة طيبة وانهم يحتفظون بهذا المستوى حتى يبلغوا سناً متقدمة وهم في هذا أهم سبق لم تعرفه دولة أخرى في تاريخها .

***

وعزا الرئيس هذه الظاهرة إلى « روح العمل الطبي الأميركي » الذي تتبدى في منح كل طبيب مستقل فرصة يرتقي فيها بحرفته وتطوير طبه الطبية ويحسن خدماته الطبية منحرفاً من كل تأثير حكومي أو قيود حكومية تعوق حرفته وتعرقل أعماله .

وديع فلسطين

في سبيل أن نعلم

عالمنا الذري

تقول أحدث النظريات العلمية في وصف
كوكب الذي نعيش عليه إن الأرض عبارة
ن فرن ذري جبار تغطيه قشرة من الماء
الياسة سمكها اثنا عشر (ستمائة متر).

ويقوم الآن علماء أمريكا بأجراء بحوث
حت سطح الماء في مناطق يبلغ عمقها آلاف
من الأقدام لمعرفة شكل قاع المحيط والوقوف
على نوع الأحجارات الذرية التي تحوي
باطن الأرض .

ووسيلتهم في الاهتداء بهذا العالم
بوساطة أمواج الصوت . وطريقة ذلك
احداث صدى صوتي انفجارين صغيرين
أحدهما صادر من قاع البحر والآخر من
الطبقة الصخرية التي تقع تحت الطبقة الطينية
للماء . ويقاس الفرق بين وصولهما إلى
بوساطة مسجل يثبت تحت الماء . وإن
سرعة الصوت تحت الماء والطين معروفة
فانه يسهل قياس العمق .

وقد تبين ان قاع الاطلنطي في المنطقة
الشمالية الغربية منبسط نسبيا وان قشرة
الأرض في هذه المنطقة مغطاة بطبقة من
الطين والصلصال تحت سطح الماء . أما المنطقة
الممتدة من ايسلندا حتى الشاطئ الشمالي
الجنوبية فهي عبارة عن سلسلة من الجبال

المرجح ان هذه السنة المشعة من السخر في احدى اشد الزلازل على عهد كل منا هي أحد شتاءات سيبوريك . وأدّى هذا الى التفاوض حديثاً على هذا الموضوع .

ويوجد مؤرخو العلماء الثلاثة ان البرهان المشهور الذي يشبه الحطام الذي الى حدّ كبير يقع الحوادث . وهذه الحرارة المتكوسة تتكوّن حوالي ٥٠٪ من الدفء في العالم . وهذا الكشف يقضي على النظرية القديمة القائلة ان تكوّك الأرضي آخذ تدريجياً في البرودة ببطء . ويؤدي هذا الكشف الى نظرية جديدة وهي ان الأرض صادرة عن جسم يدفئ نفسه بنفسه أي جسم عائلي ان الانحلال الذري .

ويقول الدكتور أوري ان الفترة الزمنية بين وجود الأرض وبين الوقت الذي ينتهي فيه الوقود الذري في هذا الكوكب لا تقل عن عشرة بليون سنة . وبما ان الأرض ليست اقدم من ذلك ، فان الوقود الذري في باطن الأرض الذي تتدفئ العالم لمدة مئات الملايين من السنين

* * *

[illegible] في الصخور الأخيرة ان حرارة الطبقة الأرضية على اليابسة آخذة في الارتفاع ، وتحت سطح الماء آخذة في الهبوط . ويقول الدكتور أوري ان ذلك قد يكون راجعاً الى عدم وجود الحرائث تحت سطح الماء . وستساعد البحوث التي [illegible] على قاع البحر على [illegible] هذه الناحية .

تلفزة المسرح

شاهد النظارة في احدى دور الرقص بشارع برودواي بمدينة نيويورك ، في الاسبوع الماضي ، حفلة ملاكمة أذيعت في حي بروكلين القريب من شارع برودواي . وقد نقلت تلفزة الحفلة على موجتين من قاعة الملاكمة الى دار السينما ، حيث عرضت الصور عبر شاشة بالطريقة العادية على الشاشة .

وجهاز التلفزيون الذي استعمل في هذا العرض عبارة عن مسجل خاص للافلام يمتص ٣٠ صورة في الثانية على شريط الفيلم العادي (٣٥ م م) ولم تزد المدة التي تقع بين توهج ضربة بوكس في بروكلين وبين رؤية النظارة في برودواي على ٦٦ ثانية . والمعتقد ان علماء التلفزة سيستطيعون في القريب العاجل بجهاز التلفزة الجديد نقل الحوادث [illegible] وعرضها مباشرة الى الجمهور في دور الرقص .

لماذا يكبر الانسان

[illegible] تطوّر العلوم الطبية [illegible] جديد يهدف الى ابطاء التطوّر الطبيعي في جسم الانسان ، وهو التطوّر الذي يؤدي الى الهرم . ويجري الآن بحوث واسعة النطاق في كثير من الجامعات الاميركية لمعرفة كيفية تقدم خلايا الجسم في السن ولماذا يتوقف نشاط تلك الخلايا وانقسامها

... متشائمين في الصين . ويعتقد الدكتور ... رئيس الجمعية الطبية الأمريكية أن ... نمو الانسان ، بالقياس الى ... عمر الحيوان ، يجب أن يكون ١٥٠ ... من ٦٨ كما هو الحال في الوقت الحاضر . ويقوم الباحثون الآن بالبحث عن الأسباب التي تحول دون بلوغ المائة والخمسين ومن ثم ترجع تلك الأسباب الى تراكم التجارب الضارة العاطفية عند الفرد ؟ وقد أنشىء ... معهد التغذية الانسانية » في ... تورث ويسقن » بولاية اليتوي . ... رجال هذا المعهد هذه المشكلة من ... اجهزة الغدد لمعرفة ما اذا كان طعام الانسان ... سببا في الهرم .

ويقوم معهد فيلس للدراسات الانسانية في كلية انتيوخ بدراسة آثار تجارب الانسان من مولده الى سن النضوج على جسم الانسان . أما جامعة كولومبيا فيدرس اخصائيوها مسألة الوراثة والبيئة .

وقد أشار الدكتور اندرو ايفي الأستاذ بجامعة ايلنوى الى أسباب الكبر فقال انه يعتقد أن التدهور في خلايا الجسم يرجع الى سلسلة من التغيرات تتجمع فيها مواد غريبة في جدران الخلايا وبينها . وقد تكون هذه ناشئة عن اضطرابات الخلايا بسبب ضعف داخلي أو عوامل خارجية أو كليهما .

ويقول الدكتور وارد كرامبتون أن ... يترن سنويا بسبب الأمراض المؤدية ... ويجب على الطب الوقائي أن يضع حدا لذلك . وقد تطوع خمسمائة شخص في جامعة ميشيغان لاجراء تجارب طبهم في هذا الموضوع مدة عشر سنوات ، لمعرفة العوامل التي تؤدي الى تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم . ويبحث الآن عدد من الاخصائيين لمعرفة ما إذا كان النشاط البدني أو الغذاء يمنع أو يؤخر الأمراض التي تحدث تدهوراً في الجسم

ومن المتوقع أن يتوصل العلماء بعد ثلاثين عاماً الى مضاعفة عمر الانسان .

بعثات الكشف في المناطق القطبية

يتولى المعهد الأمريكي الكندي للمناطق القطبية ، وادارة الأبحاث التابعة للاسطول الأمريكي تموين بعثات من الدول الأوربية والولايات المتحدة للكشف عن المناطق القطبية . وستدور معظم تلك الأبحاث في مناطق الاسكا ولبرادور وشمال كوبيك وخليج هدسون . وأهداف تلك الأبحاث معرفة ما يأتي :

تاريخ استيطان الاسكيمو بالقرب من مضيق بيرنج ، لماذا لا توجد الضفادع والحيوانات البرية والبحرية في المناطق القطبية البحث عن مسكن طائر نادر الوجود طويل القدم طويل المنقار . دراسة منطقة الانتقال من أقليم الغابات الى مراعي التندرا ، دراسة كيمياء الدم عند الحيوانات القطبية ، والحياة القطبية للبكتريا وآثار التغيرات الجوية في الحيوان والانسان .

المصادفة تكشف عن وسيلة جديدة
لمنع الاصابة بنزلات البرد

أدّت سلسلة من المصادفات ، تلتها أبحاث دامت عدة سنين ، الى الكشف عن وسيلة تبشر بالنجاح يمكن بها منع الاصابة بنزلات البرد المعروفة ، وقد وصفت جمعية « هيجيا » الطبية الأمريكية هذه الطريقة في نشرة أذاعتها على رجال العلم ، بأنها طريقة سهلة قليلة النفقات . وتتلخص هذه الطريقة الجديدة في رش الغرف ببخار ترييثيلين الجليكول ، وهي مادة عديمة اللون والرائحة لا تؤذي الانسان ولكنها تفتك بالبكتريا العالقة بالهواء .

ولم يكن القصد في استخدام عقار الجليكول في أول الأمر منع الاصابة بنزلات البرد ولكنه استخدم لاستخلاص الرطوبة من الهواء في بنك نيويورك فأدى الى خفض حالات الاصابة بالبرد بين الموظفين من ٩٦٥ حالة الى ٤٩٦ حالة في خلال عام واحد ، ومن هنا بدأت سلسلة من التجارب والبحوث الكشف عن السبب الذي أدى الى نقص حالات الاصابة بالبرد . وقد وجد العلماء قبل ذلك ان كمية ضئيلة من الجليكول لا تكاد تبلغ ثلاثة أجزاء من مئة جزء من الجرام تقضي على عدد من البكتريا يبلغ ٩٩٪ من ١٢ مليون ، وثبت ان الجليكول لا يسبب ضرراً ما ، فقد أعطيت منه جرعات كبيرة للفيران والقردة ولكنها لم تصب بأي ضرر ، بل ان وقى الأدوات التي تجري عليها التجارب من مرض السل ، ووقى الفيران من الاصابة بالانفلونزا .

وفي عام ١٩٤٣ بعد ما ثبت أن الجليكول مادة غير ضارة بدأت التجارب برش بخاره في معسكرات رجال البحرية فانخفضت اصابات البرد في هذه المعسكرات الى الثلث تقريباً وفوق ذلك فقد نقصت اصابات التهاب الغدة النكفية ٣٪ مرة تقريباً .

وعلى الرغم من ذلك فقد ظل الجليكول سراً مغلقاً الى أن أثبت الدكتور تيودور بوك أن السر يتلخص في قابلية الجليكول لامتصاص الرطوبة والماء على العكس من المواد الأخرى التي كانت تستخدم قبل ذلك لتطهير الجو وكانت لا تستطيع اختراق قطيرات الماء التي تغلف البكتريا . وأثبت الدكتور بوك أن البخار الذي ينشأ من انقسام قطيرات الجليكول هو الذي يقضي على البكتريا لا قطيرات الجليكول نفسها ، كما أثبت أن جزيئات الجليكول تنفذ الى البكتريا فتقضي عليها قضاء مبرماً .

ونذكر على سبيل المثال أن جراماً واحداً من بروبيلين الجليكول يطهر ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ سنتيمتر مكعب من الهواء إذا رش رشاً عادياً ، ولكن اذا ما رش بخار نفس هذه

الكمية لطهرت ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ سنتمتر مكعب . ودل البحث على أن تريثيلين الجليكول أقوى بكثير إذ أن جراماً واحداً منه يطهر ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ سنتيمتر مكعب من الهواء وبدأت المصانع والمكاتب والمستشفيات في الولايات المتحدة في استخدام هذه الطريقة منذ ذلك الحين بنجاح واضح ، وقد اتضح أن هذه الوسيلة تقضي على أنواع أخرى من البكتريا والفيروس ، ويبدو أن من يستنشق بخار الجليكول لمدة بضع ساعات يكتسب دمه المناعة ضد البكتريا والفيروسات الأخرى لمدة ساعات طويلة

ويعمل العلماء في صنع جهاز صغير لنفث بخار الجليكول عند استعماله في المساكن والمدارس والمكاتب بتكلفة قليلة . لتخفيض عدد إصابات البرد التي تقدر في سكان الولايات المتحدة ، وتقدر في كل عام بنحو ٢٨٠٠٠٠٠٠٠ .

إجراء أبحاث ذرية
في بروكهافن بنيويورك

سيشهد هذا الصيف افتتاح جامعة جديدة في بروكهافن بلونج أيلاند بمدينة نيويورك لاجراء أبحاث ذرية تقتصر على وسائل استخدام الذرة في أغراض سلمية ، ويشرف على ادارة هذا المعهد التقاني ، المعروف باسم « معمل بروكهافن الوطني » اتحاد الجامعات ، وهو هيئة لا تبغي ربحاً وتضم تسعاً من كبريات الجامعات في شرق الولايات المتحدة .

وتتولى الحكومة تمويل هذا المشروع عن طريق لجنة الطاقة الذرية ، ولن يكون للأبحاث التي تجري في بروكهافن علاقة بالشؤون العسكرية وستكرس كلها خاصة لزيادة مقدرة الانسان على مكافحة الأمراض وانتاج المواد الضرورية في الحياة ، واضافة الجوانب المظلمة في العقل الانساني حيث يكمن الخوف من الحرب .

وسيعمل في بروكهافن حوالي ألف شخص بينهم ٤٠٠ عامل ، وما يقرب على ألف خبير ومساعد وسينقسم العاملون في هذا المعهد الى ثلاث مجموعات : أساتذة دائمون للتدريس والأبحاث ، وغير مجبرين للتدريب على الأعمال الذرية ، وعلماء زائرون ذوو تجربة جديدة لهم مطلق الحرية في العمل على ابتكارها .

وما هو جديراً بالذكر في العمل يسير في معامل بروكهافن منذ عام مضى ويجري الآن تنفيذ برنامج لتدريب الفيزيائيين على الذرة في المعارض والمعاهد التربوية من بروكهافن .

مكتبة المقتطف

الكتاب الذهبي

لمهرجان خليل مطران بك

دار الهلال — ٣٢٠ صفحة مصورة من الحجم الكبير

لا تزال محافل الأدب في مصر وفي غير مصر تذكر تلك الحفلات الأدبية البديعة الخالدة التي دعا الوفاء إلى تنظيمها في العامين القديم والجديد لتكريم الأستاذ خليل مطران بك شاعر القطرين ورائد التجديد في النهضة الفكرية المعاصرة وقطب البيان الذي يدور في دنيا الناطقين بالضاد ونثر أبناء المشرق في سجاياه وخلاله.

لا تزال تذكر حفلة دار الأوبرا التي أسبغ عليها جلالة الفاروق فيضاً من رعايته السامية فحفلها بعطفه وبرّه وكرّم خليل مطران بك بلقب رفيع كما اقترن باسمه ذكر فضل الفاروق على نهضة الأدب وعلى رجال الرأي ... لا تزال تلك الحفلة ملء السمع، وما تناثر من الخطب التي تبارى في إلقائها دهاقنة السياسة وزعماء الفكر والقصائد التي أنشدها كبار الشعراء، تتردّد أصداؤها في الأذن فتصيخ لها بلهفة واهتمام لأن صورها يدور حول خليل مطران إمام الأوفياء في أيام نذر فيها الوفاء، وزعيم المروءة والشهامة في أوان تفتقد فيه هاتان الخصلتان.

فما برحنا نجترّ من الذاكرة خطاب الشهوري باشا ونستعيد كلمة خليل ثابت بك، ونسترجع شعر الأساتذة العقاد وملاط وحمي الدين والأسمر ونستروح شذى كلمات أنطون الجميل باشا ودسوقي أباظه باشا وحمد علي طه باشا وزكي طليمات وسامي السراج وفؤاد

صروف وهيكل باشا ومحمد عبد الغني حسن ولا نزال نرتد الى ما أبطنه الوحي لنتذاكر ما قيل في مطران من الدكتور طه حسين بك والدكتور فارس الخوري بك والدكتور بشر فارس والأستاذ خليل شيبوب والأستاذ عباس المعقي والأستاذ مختار الوكيل وسواهم من حملة القلم ورجال النظم ، فتشعر النفس بنوع من الرضا لا يسيء إليه إلاّ النسيان المقرون ولا ينتقص من قدره إلاّ تراداف الأيام وتباعد العهد .

ولذلك لم تكد لجنة تكريم خليل مطران بك تصدر كتاباً ذهبيًّا ينطوي على كل ما قيل في هذا الشاعر الفحل ، حتى تلقيته كالجائع الصائم يقع على طعام بعد سغب فلا يملك إلاّ أن يبتلع بنهم ازدراد في نهم ورجاء مزيد .

فهذا الكتاب كحلبة السباق فيه جياد كثيرة تتبارى لتبلغ هدفاً واحداً وقد بلغته جميعاً لأنه مرمى يستهوي كل فارس من فرسان الأدب ، ولأن تكريم خليل مطران تبعة كنا نجرم في حق أنفسنا لو لم ننهض بها في حياته .

ولقد حاول كل من تحدث عن خليل مطران أن يطرق ناحية بعينها من حياته يعرضها ويجلو في آفاقها مما جعل الكتاب على تفرّق فصوله وتباعد كتّابه وتنائي مضاربهم تنتظمه وحدة واحدة هي التنويه بمجاهد خليل مطران انساناً رقيق الشعور وأديباً خلاّقاً تدين له الضاد بالكثير ، ورجل دولة وأريحية وشهامة لا يجاريه في مضمارها إلاّ قليلون ، ومحدّثاً لبقاً يسوق النكاهة ، في مواضعها فيحسن الحديث ويحسن المزح ، وعبداً دأبه أن يكون في الطليعة أبداً يقود الصفوف ويرشد أجيالاً بعده من الأدباء .

وإن لجنة تكريم خليل مطران ، التي عرف جميع أعضائها بغير استثناء بوفائهم وإدراكهم لأقدار الرجال ، للمتأهل الثناء سابقاً لأنها وان رامت أن تكرم خليل مطران ، فقد كرمت الأدب والخلق معاً ، وان شاءت أن تضفر من هامة خليل مطران تاجاً من ألوان التقدير والتكريم ، فقد ضفرت قلادة الخلود إكليلاً زينت به مفرقها . ولأنها قد توخياً لما ينبغي أن يكون عليه موقف الأجيال الحاضرة من روّادها وقادتها ومهدي الدرب أمامها .

فاذا كان الأدب المعاصر يكرم خليل مطران ، فانما يكرم نفسه ويصون للعربية ذخيرة نفيسة لا تقوّم بهذر المال . ونعم ما أسدته لجنة التكريم باصدارها الكتاب الذهبي ، ونعم

ماتفعله بتروعها في طبع دواوين سطراز وكتبه لأن الطليل من الذين يعتنون من تواضع أن نصيبه في رفع مقام الضاد نصيب مشكور ، سواء من حقاق وبند فإن أبداً مقدور وأجر موفور.

وما دام المجال مجال حديث عن جليل معروف ، فنرجو الله أن ينقذ الطليل من محنة المرض التي يجتازها اليوم بصبر وجلد ، وأن يمد في عمر رجل ما أحسبه أساء الى كائن حي ، وأن يدخل على نفسه طمأنينة تردها اليه ، أبداً ، وأن يكرمه الله وهو إلى الله المكرمات.

ر. ع. فرحات

خواطر من الطب

تأليف الدكتور مصطفى الديواني ؛ ٢٤٠ صفحة من القطع الاوسط ؛ القاهرة ١٩٤٨

من الخلائق البينة في مؤلفات حضرة الدكتور مصطفى الديواني أنها علم في أدب. فرضوعها علمي وأسلوبها أدبي. بل الأشبه إذا نظرنا الى أسلوبها بمتاز بالسلاسة والسهولة التي تحبب القراء في العلم وتدنيه منهم ، وذلك وعدد من الأشياء التي تضفي على ما يكتب الدكتور الديواني خصيصات تنفرد بها.

وخواطر في الطب من الكتب النفيسة بحق في المكتبة العربية. فهو يعنى بالطفل وهو أساس المجتمع وأساس الأسرة ويعالج ما يتعرض له الطفل من أخطار في أدوار حياته الأولى ويرشد الأمهات الى خير ما وصل اليه الطب في أمر العناية بأمر النشء وهو عماد المستقبل. وما يدلك على قيمة الموضوع التي عالجه الدكتور الديواني في كتابه شيء كعرقلة أن قدماء اليونان قد جروا على تقليد له معنى عظيم ، فكان الرجال اذا شاهدوا امرأة حاملاً في الطريق وقفوا بخشوع وانحنوا احتراماً. ذلك لأنها تحمل في احشائها المستقبل كله.

الشكسار

وضع الارشمندريت ميشيل عساف — طبع بالمطبعة البولسية في حريصا (لبنان)

وضع حضرة العلامة الارشمندريت ميشيل عساف من الاكليروس الطريركي صفراً نفيساً أسماه الشكسار وضمنه سير القديسين الذين تكرمهم كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك على مدار السنة.

وقد قدمته مجلة السيدة العذراء إلى قرائها كحلقة أولى من كتاب نفيس مطوّل كامل وضعه حضرة الارشمندريت عساف عن أخبار أولئك الأبرار الذين يقتبس من ذكريات تضحياتهم الدينية والانسانية عبق الايمان الوطيد والاخلاص الجيد والتفاني المترفع عن ترهات الحياة وأباطيل هذا العالم المادي الزائل.

وقد طبع هذا السفر النفيس طبعة بديعة في المطبعة البولسية في حريصا (لبنان)

٨٩ شهراً في المنفى

تأليف الاستاذ محمود حسني العرابي : ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير : القاهرة ١٩٤٨

أول كتاب من نوعه في اللغة العربية عالج موضوعاً وعالج أسلوباً وطريقة . فالكتاب سيرة شخصية لمؤلفه لحقبة من حياته أعتقد أنها الحقبة التي كوّنت شخصيته .

عرفت الأستاذ محمود حسني العرابي قبل أن يذهب ولقيته بعد أن عاد من منفاه ، فاذا بي أرى فيه بعد النفي شخصية تختلف اختلافاً كلياً عنها قبل أن تحيط به تلك البلوى الجائحة ، بلوى النفي والحرمان من الجنسية .

ولا يسعك اذ تفتح أول صفحات الكتاب فتكفّ عنه حتى تأتي على آخر صفحة فيه . فانك لا تقرأ بأنك تقرأ ، وإنما تشعر بأن بعض مراكب الحياة تمر بك الواحدة تلو صاحبتها ، وتحس بأن الجوّ الذي يكتنفك هو جو الخنائق لا جوّ الأوطان الذي تعيش فيه . تشعر بأنك العبد المسترق لعُسْرف الدنيا ، وتوقن بأن الحياة المدنية ليست أكثر من جملة أشياء تواضع عليها الناس ، ولكن أكثرها خطأ ، فكأنك تعيش في عالم أساسه الخطأ ، وأساسه الاستبداد ، وإنك اذا انحرفت شيئاً ما عما تواضع عليه الناس ، وأخذت به الدول ، فأنت الشريد في دنيا كلها يأس وكلها قنوط وكلها اسفافات ، بل إنك تشرف من تحت على عالم يلوح لك انه عالم من نسج الخيال لا من واقع الحقيقة .

تشهد فيه خلجات نفسية صيقة كل الصقل وان كانت في ظاهرها من بسائط الحياة . انسان يجوع ويشعر بالبرد ويساوره اليأس ويحدوه الأمل وتجري في دمه خلجات الحب ، وهو بعد في موقف من الحياة كله صراع وكله تضارب عنيف بين أمر القوانين وحاجات الحياة . تلمس فيه صراع القلب والمادّة ، وتجاذب الشهوة والعقل ، وتنازع الأمل واليأس أيهما يفوز بأن يستولي على تلك النفس التي تريد أن تطمئن فتزلزلها الأحداث وتضربها قوارع الزمن بسياط من نار .

غير أنك تلحظ في تضارب أمواج هذا الخِضَم أن في الانسانية بقية من روح وحشاشة من عطف وإثارة من حب ، هي كل أمل أولئك الذين لا يزالون يعتنقون المثل والمبادئ .

والكتاب ثروة ساكنة ، وصرخة صامتة ، بعد أن كان في نفس كاتبه ثروة حائمة وصرخة مُدوّية . ذلك هو الفرق الذي يجعله الشاعر بين رفقد المصيبة ورمادها الذي تخلفه ومصيبة صديقنا المرابي إن كانت قد أصبحت الآن رماداً ، إلاّ أنّ في ذلك الرماد شعلاً من نار تبدو ثم تخبو ، نؤمل أن تنقلب أنفاساً من نور ينتفع أبناء هذا الجيل بما فيها من روائع حقبة من حياة رجل عاش كريماً وفقي كريماً وقضى حياة النبي كريماً فلم تلن له قناة ولا النوى له عود .

ا . م

الأوذيسة

السيدة عنبرة سلام الخالدي — صفحاته ٢٨٥ — المطبعة العصرية بالقدس

في جوّ مثقل بالهموم ، مشحون بالغيوم ، يسود فلسطين الجريح اليوم ، تتواثب في نفس أديبة فلسطين الموهوبة السيدة عنبرة سلاّم الخالدي نوازع الأدب وتطلع علينا بكتاب (الأوذيسة) الذي نقلته الى العربية نقلاً ما أحسبه إلاّ وقد جاء مطابقاً للأصل وأخرجته إخراجاً متصل الأجزاء ، محبوك السرد ، مطمئن السياق .

وأسلوب (السيدة عنبرة) في ترجمة (الالياذة) قبل عام أسلوبها في نقل الأوذيسة) : براعة أداء وروعة أسلوب ، وقد مهدت لهذه الطرفة الجديدة بكلمة (تمهيد) موزونة في تعريف (الأوذيسة) قالت منها :

« الأوذيسة هي احدى الملحمتين الخالدتين المنسوبتين الى هوميروس ، الشاعر اليوناني العظيم ، وهي وصف دقيق لرحلات (أوذيس) ملك إيثاكه ، تلك الرحلات التي دامت عشر سنوات واكتنفتها الأخطار ، منذ سفره في طريق رجوعه الى بلاده ، بعد سقوط طروادة

وتمضي السيدة الخالدية في سرد تفاصيل هذه الرحلة سرداً ماتعاً الى أن تقول في الأوذيسة :

« وهي تصف لنا وصفاً رائعاً جذاباً حياة الأغريق في تلك الأيام وتتناول طريقة عيشهم وآداب سلوكهم ، وتعاملهم في أيام سلمهم ، كما وصفت لنا الالياذة حالة هؤلاء الأغريق في أيام حربهم وقتالهم »

ويتبين أني ما انكففت مرة عن تلاوة ما يخطه قلم السيدة عنبرة من طرائف البحوث ويُضطرب من الدراسة العربية إلاّ وعادت بي الذكرى الى رسالة تلقيتها يوماً من زهيمة كواتب لبنان السيدة سلمى صائغ في وصف السيدة عنبرة قالت منها :

« ... إن في نساء هذه الأمة العربية قوى هائلة مستقرة بدرت لي بوادرها منذ أعوام وكان لي حظ مراقبتها منذ هيئتُ ، فيا لروعتها عندما ترقى وتزيد ، جائشة كالإناء الغالي ، ويا لانوثتها المستسلمة تخالف سنن الطبيعة وتقنع بالصمود عندما يرضع الغطاء وتُسد المنافذ وتحكم الاقفال ، ولكنه صمود يشاوه تدفّع وإصرار في غير تنطع ودعوى ، وفي غير مظاهرة وخشونة ، من تدفُّع تراقته يد الله الرؤوم ، فتفتح أمامه النوافذ وتُحل الاقفال لأن فيه الحياة تريد الحياة ، ولأن فيه الخير كل الخير ! »

هاهي السيدة عنبرة في بلاد الغرب تبحث وتنقب وتستقصي ثم تنقل لبني قومها هذه الصور الرائعة التي ما سبق أن جمعها قلم شرقي بهذا الالمام وهذه الاحاطة ، الى هذا الانسجام والاتساق والثقة في التعبير الى هذا التغلغل في لبّ الشيء وكنهه حتى حدّ الاكمال .

بارك الله في قلم السيدة عنبرة وأطال في عمرها لتمدّ الخزانة العربية بمثل هذه الطرائف التي يطرب لها عشّاق أدبها ويقدرونها .

النبي — فلسطين البروى اللحام

الكتاب الذهبي لجريدة البصير

تلقينا من حضرة الأستاذ شارل قميل ومورريس قميل صاحبي جريدة البصير التي تصدر في الاسكندرية نسخة من الكتاب الذهبي الذي أصدرته الجريدة بمناسبة مضي خمسين عاماً على انشائها .

وقد اشترك في تحرير هذا السفر النفيس طائفة كبيرة من أعلام السياسة والادب في القطر المصري فجاء الكتاب آية في أناقة الطباعة وجمال الاخراج وحسن التبويب والتوق في انتقاء موضوعاته .

ويطلب الكتاب من دار الجريدة في الاسكندرية ومن وكالتها في شارع قصر النيل رقم ٣٥ في القاهرة .

فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثالث عشر بعد المئة

١٦٧ من فلسفة طاغور : أ . م .

١٧١ تنمية مدارك الطفل : شريف الشاشيبي

١٧٥ نظرات في النفس والحياة : ع . ش (عبد الرحمن شكري)

١٨٦ سياسة الارشاد الاجتماعي : جمال الدين حمدي

١٩١ نظرة في البشرية (قصيدة) : أدوار مرقص

١٩٦ الرائد اللاسلكي سلاح الحلفاء السري : عوض جندي

١٩٩ صدى أنشودة الكرماتيول : ماري ماندرون : ترجمة الآنسة نعمت حسني

٢٠٦ عازفة البيل (قصيدة) : يوسف جبرا

٢٠٨ المناعة والتلقيح : الدكتور عبده رزق

٢١٣ الساكن المجديد : محمد مفيد الشوباشي

٢٢٥ قرطبة : محمد رجب البيلي

٢٢٩ طب الاحياء النطيسة * تشارلس داروين في حداثته . البصوت الذرية في الطب : وديع فلسطين . طاقة الذري . تفلزة السرح . لماذا يكثر الانسان . بدلات الكشف في المناطق النطية . المعادن تكشف عن وسيلة جديدة لمنع الاصابة بزلات البرد . اجراء أبحاث ذرية في بروكهافن في نيويورك

٢٣٨ مكتبة المقتطف * الكتاب الذهبي لمرجان خليل معلوف بك : وديع فلسطين . خواطر من الطب . السنكسار . ٨٩ شعراً في المئة . . . . الاوذيسة : البدوي الملثم . الكتاب الذهبي لجمعية البصير .

٢ — لحق المقتطف

٤٩—٩٦ عالم الذرة او الطاقة الذرية والقنبلة الذرية : بقلم نقولا الحداد